www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الثاني والثلاثون

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُرًى « وضاحا » كمنار الطريق

جمادى الاولى ١٣٥١ برج الميزان سنة ١٣١١هـ ش سبتمبر سنة ١٩٣٢ م

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتاوى المنار

(أكل لحم الخنزير : هل يشمل شحمه وكل ما يؤكل منه ؟)

(س ٥٠) استفتي في هذه المسألة زميلنا الكريم الاستاذ سيف الدين رحال الشهير محرر جريدة الفطرة الغراء وناموس مؤتمر الجمعيات العربية بالبرازيل فأجاب عنها بالجواب الآتي المتضمن لحكمة التحريم وأرسله الينا لننشره في المنار ونعلق عليه رأينا في الفتوى فلم يسعنا إلا إجابته . وهذا نص ما جاءنا منه مبدوءاً بخطابه للمستفتي دون خطابه لنا الذي تركنا نشره لطوله

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الصالح السيد أحمد حديد أدام الله بركته عليه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد وصلتني فتواكم حال انعقاد (مؤتمر الجمعيات الاستقلالية السورية العربية) للبحث في قضية الاستقلال وما يرتبط بها من القضايا المتعددة وليس في الامكان إجابتكم بالتفصيل فأبادر بالايجاز مرجئاً التطويل لفرصة أخرى :

نذكر هنا نص سؤالكم ونجيب عليه حسب معلوماتنا القاصرة ونعتقد بمن هو أكفى منا في هذا الميدان ، فلا ضير عليكم أن تلجئوا إلى ساحته فانكم ولا شك تجدون فيها خيرا جوابا وخير سنداً

﴿ السؤال ﴾

تقولون : « ما هو المحرم أكله في الخنزير ؟ هل هو لحمه فقط أم لحمه وشحمه وكل ما فيه ؟ نرجو الافادة شرعا ولكم الفضل والثواب »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الفتوى ﴾

(حكم كتاب الله في ذلك)

نجيب على سؤالكم بالايجاز :

إن آيات التحريم في القرآن قد وردت بصيغة التخصيص في أن المحرم من الخنزير لحمه ، فقد ورد في سورة المائدة قول الله تعالى (حرمت عليكم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ـ إلا ما ذكيتم ـ وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم . يسألونك ماذا أحل لهم قل : أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات الخ ...)

وورد في سورة البقرة قوله عز شأنه : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم)

وورد في سورة الانعام قوله جل جلاله : (قل لا أجد في ما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ، أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) .

فالناظر في الآيات المذكورة يجد أن لحم الخنزير محرم تحريماً قطعياً لورود النص الصريح فيه ، سواء ورد لفظ «لحم» بالمعنى الحقيقي أم ورد مجازاً مرسلا مراداً به كل الخنزير ، فان كان ورود المعنى لاجل الحقيقة فظاهر كون لحم الخنزير حراما . وان أريد المجاز فالمعنى أن الخنزير كله لحمه وشحمه ودهنه وكبده وطحالة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محرم ، فيكون تحريم الجزء الاكبر مراداً به الكل ، هو تحريم قطعي للكل أيضاً أي لما بقي من الكل غير اللحم . فمن أصر على أن لفظ «اللحم» واردوقاصر على معناه الحقيقي جاز له القول بالتحريم القطعي في اللحم وبالظني في غيره اذا قام عليه دليل من السنة والاجماع أو بقياس أهل الحل والعقد ، فان لم يقم كان التحريم ظنيا من باب سد الذريعة . اذفي تحريم الكل سد ذريعة اقتناء الخنزير للانتفاع بما هو غير اللحم مما يميل المترخص الى تحليله جموداً عند النص ، وفيه قطع دابر ما يؤدي اليه الانتفاع من التفريط في التحريم للمحرم بجر المنفعة لمادونه المظنون في حله . ولا يصح ضرب المثل بضرورة منع زرع العنب والتمر منعاً لاستخراج الخمر منهما ، فانه مثل فاسد لوجود الفرق العظيم في الأمرين لان شحم الخنزير ودهنه وكبده وطحاله موجودة فيه بالذات ملاصقة لما حرم الله بالنص بصريح اللفظ والمعنى ، وانما الخمر محدثة يأثم عاصرها وبائعها ومشتريها وحاملها والمحمولة اليه لشربها . ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قد قال: (تلك حدود الله فلا تقربوها) ومعنى ذلك أن للحلال حدوداً ينتهي عندها حيث يبتديء الحرام فاذا تطرف المرء فقد ينتهي منها الى الحرام أو يختلط عليه آخر المحللات بأوائل المحرمات فيلج أبواب الشبه والالتباس نجانا الله منها فانها أبواب الريبة والحيرة

وانك لتجد في آية الانعام قوله تعالى (أو لحم خنزير فانه رجس) . والهاء في (إنه) يحتمل أن تعود على لحم الخنزير كما يحتمل أن تعود على الخنزير نفسه ، بل قال النحاة ان الضمير يعود على الاقرب . فالقول بان تأكيد النعت بالرجس راجع الى الخنزير ذاته صحيح ، وهو تشنيع وصف الله به عباة الاوثان في نهيه عنها بقوله: (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) كما وصف به الخمر والميسر (والانصاب والازلام) في آية أخرى.

نعم قد وردت صيغة التحريم في آية البقرة بصيغة الحصر (بانما) كما وردت في سورة الانعام حصراً (بالا) . ولكن الحصر وارد هنا لبيان أن الله جل شأنه لم يحرم على المسلمين جميع ماحرمه على غيرهم من الامم الاخرى وانما حرم عليهم ماذكره فقط من المحرمات قليلة العدد التي ذكرها وتكرم بحل غيرها مما دعا الى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يأس المخالفين الذين ذكرهم بقوله: (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون). وقد ذكر في آيات التحريم من قواعد سننه ما فيه يسر للمسلمين فذكر ثلاث قواعد هي أصل التشريع الصحيح عند العلم والاجتماع:

﴿ القاعدة الاولى ﴾ ـ تحليل الطيبات. (يسألونك: ماذا أحل لهم؟ قل أحل لكم الطيبات ـ اليوم احل لكم الطيبات ....)

﴿ القاعدة الثانية ﴾ ان تحريم الله لما حرم لم يكن لمجرد التحريم بل لغاية أسمى وهي تطهير الانسان من الواجفات الحيوانية كاكل الموتى ولعق الدم المسفوح أو أكل ما هو رجس سواء أكان لقذره أم لما فيه من الجراثيم المؤذية، ولتبرئته من الفسق والشرك الخفي بتجنبه استيعاب ما ذبح للأوثان أو لغير الله مطلقاً مثل ما ذبح على النصب الخ

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ ـ منع الحرج عن الانسان وارادة اليسر له لا العسر بالترخيص له بالاستعمال عند الضرورة (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم — فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ـ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم)

فاذا تقرر ذلك جاز لنا أن نسأل: هل شحم الخنزير ودهنه وكبده من الطيبات ام لا؟ والجواب على ذلك يمكن معرفته بتقرير أهل العلم العادلين في هذا الصدد وأني ذاكر لك ما يحضرني فيها وأنا في مجال بعيد عن المراجعة والتفصيل

طالعت في دليل (كشر نوفتش) الطبي تحت كلمة (تريكينة) ما معناه «التريكينة جرثومة خبيثة توجد خاصة وعلى الغالب في لحم الخنزير ولها تأثير سيء جداً في الجهاز الهضمي وعلى المصران ولا تموت الا بغليان يبلغ (٧٥) درجة من الحرارة بميزان (فرنهيت) فاذا صادفت انساناً لا استعداد له على تحملها فقلما تركته سليما بل قد تقضي عليه في أقل من ٢٤ ساعة

وقد ثبت علمياً أن شحم الخنزير وكبده خاليان خلوا كاملا من هذه الجرثومة المضرة

وقد كنت طالعت في كتب أخرى عن الجراثيم ما اتفق في التقرير مع المرشد المذكور، ولكني قرأت أيضا في كتب الطب فوجدت بعضها في حال وصفه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجرب والجذام والحكة يقول: «إنها تنتج في بعض الاحيان فيمن يفرط في أكل شحم الخنزير ودهنه أو في ذريتهم» ومن هذه الكتب كتاب (ادرس نفسك للاستاذ الكبير الفارس دي توليدو) (١)

فأنت تستخلص من ذلك أن شحم الخنزير خال من الجرثومة المضرة الا انه يرث على الغالب كثيرا من الامراض المؤذية مباشرة لاكله ولورثته من بعده، فهو بذلك لا يدخل بين الطيبات ولا يعطي حكمها فيكون تحريم لآكله ولو تحريما ظنيا جائزا من باب الحيطة وسد الذريعة، اذا لم يثبت تحريمه القطعي بالنص الصريح

ولقد طالعت فتوى على مذهب الامام مالك عند حداثتي ولا ادري اين طالعتها بعدم حرمة شحم الخنزير ولا ادري مقدارها من الصواب ولا يبعد استفتاء علماء بذلك في امكانكم استشارتهم أو استشارة كتبهم وربما عدت فكتبت اليكم بتفصيل عند خفة عملي الكثير والله سبحانه وتعالى أعلم. الخادم الفقير

سيف الدين رحال

﴿ تعليق المنار على الفتوى ﴾

نقول (أولا) ان اطلاق لفظ اللحم في تحريم الاكل يشمل الشحم وكل مايؤكل منه من كبد ورئة وقلب وطحال وكليتين ومعى وغدد: يشمل هذا بالنص اللغوي الحقيقي كما حققه القاضي أبو بكر بن العربي المالكي فقد قال في تفسير آية البقرة من كتابه أحكام القرآن ما نصه: اتفقت الامة على أن الخنزير حرام بجميع اجزائه والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه، وقد

(١) ـ ومع ذلك فشحم الخنزير يستخدم في صنع بعض العقاقير مثل الديادرمين وهو صابون قشطي مرهمي ناصع البياض يستخدم في الامراض الجلدية ومن خواصه تنعيم البشرة وإزالة الجلد حظه من الجمال والديادرمين تتألف من شحم الخنزير المسلى والبوتاسه الكاوية والغلسرين ومثله الكوتبدرمة وهي تتألف منه ومن البوتاسة فقط، وغير ذلك من المراهم والقشطات الكثيرة الداخلة في اداة التجميل والتحسين النسوي وفي الطب فالقول بجواز استخدامه يرجع الى الحكم بنجاسته اوطهارته وليس هذا مجاله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شففت المبتدعة بأن تقول فما بال شحمه بأي شيء يحرم؟ وهم أعاجم لا يعلمون أنه من قال «لحما» فقد قال «شحما» ومن قال شحما فلم يقل لحما، اذ كل لحم شحم، وليس كل شحم لحما من جهة اختصاص اللفظ وهو لحم من جهة حقيقته اللحمية، كما أن كل حمد شكر وليس كل شكر حمدا من جهة ذكر النعم، وهو حمد من جهة ذكر فضائل المنعم.

ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر الخ اه المراد منه

(ثانيا) ان الفقهاء قد أجمعوا على تحريم أكل كل مايؤكل من الخنزير أطلق الجمهور حكاية الاجماع واستثنى بعض المفسرين بعض الظاهرية وهو مبني على ان مدلول لفظ اللحم ما هو معروف عند العوام من جسم الحيوان المتصل باعضائه المتماسكة بعظامه دون ما في جوفه مما ذكر

(ثالثا) إذا قيل ان إطلاق لفظ اللحم في الآيات مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل أو معظم الشيء على جملته فانه يصح الاستدلال بالآية على تحريم ما ذكر كله عند غير الحنفية من أصحاب المذاهب الثلاثة وعلى الكراهة التحريمية عندهم لانهم يشترطون في التحريم الدلالة القطعية من النص وليس هذا منها

(رابعا) ان علة تحريم أكله وهي الضرر الجسمي والادبي كما حققه الاطباء متحققة في كل مايؤكل منه، فيكون تحريم اللحم بالنص وتحريم غيره بالقياس المساوي

(خامساً) ان الخنزير نجس العين عند جمهور الفقهاء طاهر عند الامام مالك.

ولعل الاستاذ سيف الدين رأى فتوى بطهارة الخنزير عند مالك وطهارة ما يتخذ من شحمه أو يدخل فيه شحمه كالصابون فنسيها ثم ظن أنها فتوى بحل أكل شحمه.

وجملة القول أن كل مايؤكل من الخنزير محرم فأما لحمه فبنص القرآن والمختار عندنا أنه يشمل الشحم وكل مايؤكل منه. وبالاجماع على قول الجمهور به وعدم اعتدادهم بمن خالف فيه من الظاهرية، وأما شحمه على القول بأنه لا يسمى لحما والاعتداد بخلاف بعض الظاهرية فبدلالة المجاز من اطلاق المقصود بالذات وإرادة كل معناه وبالقياس

وقد سبق لنا في المنار وفي التفسير اثبات قول الاطباء بضرره الشديد في البدن بكونه سبب داء الدودة الشريطية، وضرره في الأخلاق كما أثبته بعض المجربين فما أفتى به الاستاذ سيف الدين الرحال صحيح في جملته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجود والمادة والقوة والخالق عز وجل

(رأي الاستاذ الإمام في الحدوث والقدم *)

حضرة الاستاذ صاحب الكوكب المنير

قرأت فيما نشره الكوكب أمس (السبت) من ترجمة مذكرات مستر ولفرد بلنت المشهور ماذكره من حديث الاستاذ الامام مع الفيلسوف سبنسر في عقيدة المسلمين في الخالق عز وجل وفي حالة أوربة والشرق ، وما ذكره من حديثه هو مع الاستاذ الامام في علم الله تعالى بالجزئيات ، وفي قدم المادة والخالق عز وجل

فأما حديث أستاذنا مع الفيلسوف سبنسر فقد كان بسطه لنا بعد عودته من أوربة ورأيت كلمة عنه في مذكرة له ونشرت هذا وذاك في المنار وفي الجزء الاول من (تاريخ الاستاذ الامام) فراجعوه في (ص ٨٦٨) من التاريخ إن شئتم

وأما حديثه مع مستر بلنت في الخالق وعلمه وقدم المادة في أثناء عودتهما من زيارة الفيلسوف فلم يذكر لنا عنه شيئاً ، ولكننا نجزم بأن ما نقله عنه مستر بلنت من القول بقدم المادة خطأ سببه عدم فهمه لما قاله الاستاذ الامام لدقته وكونه من اصطلاحات كلامية وفلسفية لم يعرفها عقله ولم يألفها فهمه . واننا قد تلقينا عنه هذا البحث مطولا مفصلا في الكلام على الوجود من درس المنطق حتى قلنا مع أذكى الاساتذة الذين حضروا ذلك الدرس : اننا لم نفهم معنى الوجود إلا في هذا اليوم ، وفي الكلام على الوجود الواجب والوجود الممكن من رسالة التوحيد ثم في مباحث أخرى من دروس التفسير وأهمها الكلام على المادة والقوة الذي أثار إشكالا في بعض الاذهان اقتضى أن يوضحه الاستاذ كتابة ، وقد نشرت رأيه وما كتبه في إيضاحه في الجزء الاول من التفسير

أقام الاستاذ الامام البراهين العقلية القطعية على حدوث العالم قولا وكتابة

---

*) نشرنا هذه المقالة في جريدة كوكب الشرق الغراء في ١٢ من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥١ ردا على حديث لمستر بلنت مع الاستاذ الامام فهم منه أن الاستاذ قال له إن المادة قديمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقدم خالقه واجب الوجود وحده ، فلا يمكن أن يقول لمستر بلنت ولا لغيره إن المادة لهذا العالم قديمة كقدم واجب الوجود ، إلا إن كان يقول بوحدة الوجود كالشيخ محيي الدين بن عربي وأمثاله من فلاسفة الصوفية الغلاة الذين يقولون ان الوجود الحق واحد في ذاته متعدد في مظاهره وهي أعيان الموجودات في الخارج وشخوصها ، وهو قد ذكر للفيلسوف سبنسر مذاهب المسلمين الثلاثة في نسبة الخالق الى العالم : مذهب السلف الذين يقولون انه فوق جميع خلقه بائن منهم بلا تمثيل ولا تحديد . ومذهب المتكلمين الذين يقولون انه لا في داخل العالم ولا في خارجه ـ فيقولون كالسلف بالبينونة وبنصوص العلو والفوقية مع تأويلها ـ ومذهب الصوفية الذين يقولون بالوحدة . وهو قد صرح في رسالة التوحيد وفي دروس التفسير أنه يقول بقول السلف ، ولا يعيب قول الخلف

ولكنه كان في تقرير المسائل الاعتقادية يلتزم اصطلاحات علماء الكلام (إلا في التفسير) وأما في الرد على الشبهات وتقرير الحقائق الاسلامية للفلاسفة والماديين فكان يحاول تقريب الاصطلاحات العلمية المختلفة بعضها من بعض إذا كانت هي سبب الاختلاف في فهم الحقيقة ، ثم يبين ان الحق ما أثبته الاسلام ، وقد كان الفيلسوف سبنسر يرى ان إثبات ذات للقوة المدبرة لامر العالم وان لهذه الذات صفات قائمة بها كما يعتقد المسلمون يقتضي انهم يقولون بتشخصه تعالى ، فأعلمه الاستاذ الامام باننا نقول انه موجود ولا نقول انه شخص مشخص ، بل نقول انه لا يدرك كنهه . ففهم الفيلسوف كلامه ودهش من الاعجاب به كما يقول مستر بلنت ، ولكن مستر بلنت لم يفهم كلامه كما فهمه الفيلسوف ، ولذلك سأله بعد الخروج من عنده عن علمه تعالى بالجزئيات فأثبته له ، وسأله عن قدم المادة كقدمه تعالى وادعى أنه أثبتهما معاً ونحن نجزم بانه لم يفهم جوابه لضيق الوقت عن إيضاحه فأخطأ في بيانه

والراجح عندي في سبب ما فهمه مستر بلنت من قدم المادة ان الاستاذ الامام أراد أن يكشف له شبهة الماديين في اعتقادهم قدمها وهي استحالة وجود شيء من العدم ـ أو شيء من لاشيء كما يقولون ـ ثم يبين له حجة المسلمين على حدوثها ، فوافقه أولا على ان العدم لا يكون مصدراً للوجود ، بل بين له كما بين لنا في دروس المنطق بالازهر ان العدم لا حقيقة له في نفسه وإنما هو أمر اعتباري فرضي محض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإنما الشيء الثابت هو الوجود ، وان الوجود المطلق أزلي أبدي لان مقابله وهو العدم المطلق محال لا يمكن ثبوته ولا تحققه ولا تصوره ولا تخيله ، وانما يتصور الذهن العدم الاضافي وهو نفي نسبة موجود الى موجود كعدم وجود شمسين وقرين لهذه الارض . فتوهم الرجل من هذا ان وجود المادة قديم لان العدم محال

ثم أخذ الاستاذ الامام يبين له ان الوجود قسمان : وجود واجب لذاته ، ووجود ممكن لذاته ، ومن الثاني أعيان العالم المادي الذي نعرفه بحواسنا ونقيس مالم ندركه منه على ماأدركناه ، فمنه مانرى بأعيننا حدوثه بعد ان لم يكن ، ومنه مانعلم حدوثه بالأدلة كهذه النجوم والكواكب اللامعة فوقنا ، فلا يوجد عالم من علماء المادة أنفسهم يقول انها قديمة أزلية ، ومعنى كونه كله ممكنا ان ذاته لاتقتضي الوجود في نظر العقل لثبوت سبق أعيانها بالعدم ولا فرق في نظر العقل بين أعيانها المركبة من عنصرين أو عدة عناصر وبين عناصرها البسيطة . وكل مالم يكن وجوده من ذاته لذاته لا لعلة خارجة فلا بد له من علة وسبب يهبه الوجود ، وهذا السبب لايمكن ان يكون عدميا لان العدم لاثبوت له في ذاته فيكون سبباً لوجود غيره — فوجب ان يكون سبب وجود الممكنات كلها هو الوجود الواجب اي الذي له الوجود لذاته لا لعلة أخرى ، وهو الذي لايتصور عدمه ، وهو الله عز وجل

هذا هو البرهان العقلي عندنا على حدوث العالم كله ، وكأني بالأستاذ الامام قد ذكره لصديقه مستر بلنت مختصراً في طريقهما من دار الفيلسوف سبنسر إلى المحطة فلم يفهمه منه ولكن بقي في ذهنه قوله ان العدم لايكون منشأ ولا سبباً للوجود ، وتوهم انه يستلزم ان تكون المادة قديمة أزلية كالخالق تعالى وهذا محال

أزيد في بيان الموضوع ان الله تعالى قال في الاحتجاج على المعطلين (ام خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟) اي لايمكن ان يكونوا خلقوا من غير شيء (او من لاشيء كما يقال) لان العدم لايكون سبباً ولا مصدرا للوجود ، ولايمكن ان يكونوا هم الخالقين لانفسهم ولا لغيرهم ، وهذا مما لاينكرونه ، فيتعين ان يكون الخالق لهم هو الله واجب الوجود لذاته . وما يصدق على المخاطبين بهذه الحجة يصدق على غيرهم من الممكنات الوجود عاقلها وغير عاقلها كعناصر المادة بالاولى ، واذا أمكن الجدل والمراء في جزئيات الممكنات فلا يمكن المراء في جملتها . وانني أذكرهنا عبارة رسالة التوحيد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في ذلك لاستاذنا وهو قوله بعد بيان حقيقة الواجب والممكن والمستحيل ما نصه:

« جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود ، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى موجد لها . فاما ان يكون عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، واما ان يكون جزأها وهو محال ، لاستلزامه ان يكون الشيء سبباً لنفسه ولما سبقه إن لم يكن الاول، ولنفسه فقط ان فرض أول . وبطلانه ظاهر — فوجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات (اي غيرها) : والموجود الذي ليس بممكن هو الواجب ، إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل والواجب ، والمستحيل لايوجد ، فيبقى الواجب — فثبت ان للممكنات الموجودة موجداً هو واجب الوجود »

ثم أورد البرهان من وجه آخر أخصر وأدق من هذا . وقد علم من هذا وما قبله من مقدماته وما بعدها من الكلام في الوجود الواجب وما ثبت لواجب الوجود عز وجل وحده من القدم انه يستحيل ان يقول صاحب هذه البراهين ان المادة قديمة أزلية، وان المعقول ان يكون السبب في فهم مستر بلنت ما ذكر منه هو ما فصلناه، أو يكون الكلام في القدم اللغوي او الاضافي، وهو قدم عناصر المادة على مركباتها

ولكاتب هذا المقال طريقة غير طريقة شيخه الاستاذ الامام الفلسفية في إثبات حدوث المادة في مناظراته للقائلين بقدمها جدلا او اعتقاداً بينتها في مواضع من مجلة المنار منها مناظرة بيني وبين صاحبي المقتطف منذ ثلث قرن تقريباً . ملخصها ان جميع مانعرفه من هذا العالم العلوي والارضي حادث بالاتفاق بين العلماء، ولكنهم يتخبطون في تصور تكوينه وتصويره بصورة معقولة ولا يزالون مجمعين على ان منشأ الكون ومصدره الاول مجهول الكنه مع الجزم بأنه موجود ذو قوة أوحكمة يدل عليهما النظام العام في جملته وفي كل نوع من أنواعه ، او جنس من جناسه، وهو مانعبر عنه بالسنن او النواميس، وهذا الموجود المجهول كنهه وحقيقته، المعلومة صفاته بما يدل عليها من العالم ، هو الذي نسميه نحن بالاصطلاح العلمي واجب الوجود ، وبالاصطلاح الديني « الله رب العالمين »

هذا وانه قد ثبت عند علماء المادة ان عناصرها البسيطة قد يتحول بعضها إلى بعض كتحول غاز الراديوم إلى عنصر الهليوم وفاقا لنظرية وحدة المادة في الاصل، ونظرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من قال من فلاسفتنا وفلاسفة اليونان ان الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ـ تقريبا

ثم ثبت أخيراً ان القوة تتحول الى مادة او تصدر عنها مادة . ومن المعلوم ان كنه المادة وكنه القوة مجهولان ، وكنه القوة أعرق في الخفاء من كنه المادة، فصح لنا معشر المؤمنين بأن الله تعالى خالق كل شيء أن نقول لهؤلاء الماديين ان هذه القوة التي صدرت عنها المادة هي قدرة الله تعالى ، وهي عندنا مجهولة الكنه ، كما ان ذات الخالق تعالى مجهولة الكنه (*

وقد بينت هذا البحث في مقال طويل عنوانه (السنن الكونية والاجتماعية ونظام الكون) نشرته في الجزء الاول من مجلد المنار ـ مجلد هذا العام قلت فيه مانصه :

« ومالي لا آتي إلى أساس هذا الكون والسنن التي قام بها تكوينه في الاطوار المختلفة، ألم يكونوا يقولون إنه مؤلف من مادة ذات عناصر بسيطة وقوة هي منشأ التركيب الذي حدثت بها الصور المختلفة في العالم كله ؟

« قد هدم هذا الاساس إن لم يكن بما ثبت من تحول عنصر الى عنصر ، فبما ثبت من ان مانسميه المادة والقوة اصطلاح لاتعرف له حقيقة ، وان هذا الوجود الذي نعرفه في أرضنا وسمائنا ليس سوى مظهر من مظاهر تموجات الكهرباء — وان كل ذرة من ذراته تتألف من كهارب سلبية تدور حول كهرب إيجابي (والكهرب هو الوحدة من الكهرباء) وهذه الكهارب لايمكن أن يقال إنها مادة ، ولا انها قوة ، وانما حقيقتها مجهولة — إلى ان قلت :

« فاذا كانت المادة تصدر عن القوة كما قالوا (أولا) فما المانع من القول بان هذه القوة هي قوة الله وقدرته ؟ واذا كان الوجود الممكن كله مظهراً من مظاهر تموجات الكهرباء المجهولة الكنه كما قالوا (أخيراً) فأي بعد بين قولهم هذا وقول اتباع الوحي : ان الوجود الممكن الظاهر، صادر عن الوجود الغيبي الباطن؟ وقول الله تعالى يصف نفسه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم »

*) لايبعد ان يقول بعض أدعياء العلم الجاهلين الجامدين اذا اطلع على هذا ان صاحب المنار ينكر وجود الله تعالى ويقول كما يقول الماديون ان مادة العالم صدرت عن قوة مجهولة هي التي نسميها الخالق . فيجعل برهاننا الذي أقمنا به الحجة على وجود الخالق وأقنعنا م به عين انكار وجوده عز وجل ، كما فعل في مسألة الملائكة والقوى الطبيعية ، وهكذا يقلب الجامدون المحرفون الحقائق بالجهل وسوء النية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين (*)

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

سلام عليكم أيها المتذكرون المذكرون بتاريخ هذا الرجل العظيم، المنقذ لاوطانكم وأمتكم من عدوان المعتدين، المجاهد في سبيل الله لاعلاء كلمة الحق والعدل، بصدّ سيطرة الغرب عن الشرق،

لقد أحسنتم صنعا باحياء هذه الذكرى، واختياركم لها تاريخ معركة حطين الكبرى، التي كانت هي الفاصلة، لان معارك النصر بعدها كانت متواترة متعاقبة، إلى أن تم طرد تلك الزحوف الباغية، عن هذه البلاد المقدسة، وعن غيرها من البلاد العربية، حتى جزيرة العرب التي شرفها الله تعالى على جميع الارض ببيته الحرام، ومرقد رسوله خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد كان بعض زعماء الافرنج يأتمرون بفتح الحرمين الشريفين، ولاغرو، فان ثالث الحرمين أقرب الابواب اليهما، وقد عاد الامر كما بدا، فهل نجد على نار الاحداث المشاهدة هدى،..؟

أيها الاخوان المجتمعون لهذه الذكرى المقدسة، في هذه الارض المقدسة، انكم قد رفعتم عن بلادكم وأمتكم كابها عارا كبيراً وتقصيراً معيباً بالسكون والسكوت عنها إلى الآن، وهم يرون شعوب الغرب يتنافسون في إحياء ذكرى معارك الحروب التي هي دونها من كل وجه، وأما الرجال العظام فانهم ينصبون لهم التماثيل، وان كانوا عندهم دون صلاح الدين عندنا، ويؤلفون في مناقبهم الكتب التي ترفع ذكرهم، وتعظم قدرهم، وترشد الامة إلى الاقتداء بهم

نصب التماثيل ممنوع في الاسلام لانه من شعائر الوثنية، وأما تصنيف الكتب وإلقاء الخطب في عبر التاريخ فكل منهما مشروع، لانه من الحكمة والموعظة الحسنة،

(*) خطاب لنا ألقي في حفلة هذه الذكرى بحيفا في ٢٥ ربيع الآخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد دون بعض علمائنا تاريخ صلاح الدين، ونوهوا بجهاده ومناقبه في كتب أخرى، ولكن جمهور الامة يجهلها ويحتاج الى التذكير بها، بالاسلوب الذي يبعث العبرة، ويحمل النفوس على حسن الاسوة

فضائل صلاح الدين كثيرة: من قوة إيمان، وعلو أخلاق، وصلاح أعمال، وعدل أحكام، ولكن منته الكبرى على أمم الشرق كافة، وعلى العالم الاسلامي والعرب خاصة، انما هي كفايته اياهم طغيان الاستعمار الغربي، والطوفان الاوروبي، الذي فاضت سيوله باسم التعصب الصليبي، في زمن كانت فيه جميع الشعوب الاوربية في ظلمات حالكة من الهمجية والقسوة والخرافات والجهل المطلق، والبعد الشاسع عن هداية الدين المسيحي الصحيح، الذي ارتكبوا جميع الشرور والفظائع باسمه، ووالله انهم قد كانوا ومازالوا أبعد خلق الله عن دين المسيح وفضائل المسيح ووصايا المسيح عليه الصلاة والسلام، ولولا صلاح الدين لأغرق طوفانهم الشرق كله منذ القرن السادس للهجرة، فاهلكوا الحرث والنسل، وطمسوا نور الحق والعدل، وأفسدوا جميع الارض،

لم يكن صلاح الدين رحمةً من الله تعالى بالشرق وحده، بل كان رحمة بالغرب وبملوكه وقواده الوحشيين الهمجيين وشعوبه المظلومين أيضاً، فقد أراهم بجهاده فيهم، وبنصر الله له عليهم، ما طبعه عليه الاسلام من الحق والعدل، والرحمة والفضل، وعلو الاخلاق والشيم، فان كانوا قد خسروا بسيفه نتيجة الحرب كلها، فقد ربحوا بمعرفة فضائله وفضائل امته ما كان خيراً لهم ولشعوبهم منها.

رأوا من صلاح الدين، ومن أمة صلاح الدين، ومن جيوش صلاح الدين، وعلموا من أمر رعايا صلاح الدين من اليهود والمسيحيين، خلاف ما كانوا يعلمون من ملوكهم وشعوبهم، ورؤساء دينهم ودنياهم، ومازال علماؤهم ومؤرخوهم يجلونه وينوهون بفضائله، ولم تنس سورية ما كان من عاهل ألمانية الاكبر عند زيارة ضريحه في دمشق من إجلاله له، ووضع ذلك الاكليل على قبره

رأوا أن سلطان المسلمين خادم للامة، لا يتعدى سلطانه عليها تنفيذ الشريعة، فلا سلطان له على أموال الناس ولا على دمائهم ولا على نسائهم، ولا تحكم له في أنفسهم ولا في شرفهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضلا عن عقائدهم وآرائهم، بل هو أرفق بهم من آبائهم وأمهاتهم وأولي أرحامهم (*) رأوا أن المسلمين أحرار في دينهم وضمائرهم، ليس عليهم سيطرة باباوية ولا كنسية فيها، على خلاف ما كان عليه ملوك أوربة ورؤساء الدين فيها من استبداد في الاحكام، واستعباد للناس، رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم وعلموا باختبارهم، أن كل ما هاجتهم به الكنيسة لقتال المسلمين من الخطب والقصائد والاناشيد فهو كذب وبهتان، ورأوا أن النصارى يعيشون مع المسلمين كالاخوان، لهم مالهم، وعليهم ماعليهم، بل لهم أكثر مما عليهم. فلما انقلبوا مغلوبين على أنفسهم في الحرب، رجعوا عليها باللائمة، وشعروا بحاجتهم إلى تقليد المسلمين والاقتداء بهم في عدل حكامهم وحرية شعوبهم، وتقييد تلك السلطة المطلقة والسيطرة المقدسة اللتين استذلتاهم فكان انكسارهم في معارك النزال هو الحافز لهممهم، والمثير لافكارهم والمرشد لهم الى الاصلاح السياسي والديني، ومايتوقف عليه من استقلال العقل، وحرية العلم، فتحولوا عن جهادنا إلى جهاد أنفسهم،

جاهدونا عدة أجيال، ثم جاهدوا ملوكهم وكنيستهم عدة أجيال، وطفقوا يترجمون كتب حكمائنا وأطبائنا وفقهائنا وأدبائنا، يثقفون شعوبهم بها، على حين كنا نعود القهقري بتخريب الاعاجم لبلادنا، ودكهم لمعاقل قوتنا، وتقويضهم لصروح حضارتنا، وإغراقهم لكتب أئمتنا، ثم بقضائهم على سلطان خلافتنا، وإضعاف لغتنا، وإماتة علومنا، وإذلال نفوسنا بسلطة عسكرية قاهرة استنزفت ثروة عمراننا، وألحقتنا بمنابت الشيح والقيصوم من جزيرتنا

هذا - وان هؤلاء الاوربيين لم ينسوا عداوتنا معشر العرب، فقد كانت لنا عدة ممالك عربية في شطر افريقية الشمالي قضوا على استقلالها كلها بأسماء مختلفة، حتى انهم كانوا هم الحائلين دون تأسيس السلطنة (الامبراطورية) العربية التي

(*) شكا الى السلطان صلاح الدين احد مماليكه المتميزين لديه بالحظوة والاثرة مستعديا على جمال ذكر انه باعه جملا معيبا أوصرف عليه جملا بعيب لم يكن فيه فقال السلطان له ماعسى ان اصنع لك وللمسلمين قاض يحكم بينهم والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة واوامره ونواهيه ممتثلة وانما انا عبد الشرع وشحته - والشحنة عندهم صاحب الشرطة - فالحق يقضي لك أو عليك اه من رحلة ابن جبير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شرع فيها محمد علي الكبير في مصر وسورية والسودان، وأكرهوه على أن يظل خاضعاً للسياسة العثمانية عدوهم الكبرى في الشرق ، لعلمهم انها سائرة الى الانحلال والاضمحلال، وان الدولة المصرية الجديدة حية داخلة في سن الشباب ، ثم مازالوا يتربصون الدوائر بالدولة العثمانية ، إلى أن تم انحلالها في الحرب العامة الاخيرة، فكان حظهم من انحلالها الاستيلاء على ولاياتها العربية، والاعتراف باستقلال ولاياتها التركية وحدها ، وإعلان الحماية على مصر العربية ، ولما اضطرتهم الثورة المصرية إلى إلغاء هذه الحماية والاعتراف باستقلال مصر قيدوا ذلك بقيود تجعل الاستقلال اسما لغير مسماه اللغوي والسياسي، وعجلوا بالاستئثار بالسودان كله، فطردوا منه موظفي الحكومة وضباط الجيش من المصريين ، حتى ان حاكم السودان الانكليزي لم يسمح لحكومة مصر بتولية ملكها لقاضي السودان الشرعي ، على انهم لولا مساعدة مصر والحجاز العربيتين لهم في الحرب، لكان النصر فيها للالمان والترك ، ولزال الاستعمار البريطاني والفرنسي من الارض

فعلم من ذلك كله ان دول أوربة العسكرية الاستعمارية تعد الامة العربية أعدى أعدائها في الشرق ، وان وجودها فيه ذنب لايقاس به ذنب ، ولذلك جزتها على مساعدتها لها على قتال الترك بما تعلمون وتشاهدون، وتسمعون وتذوقون ، وانما تشاهدون ظلماً لايصبر عليه إلا غير الحي والوتد ، وتسمعون من النُّذر ما يدل على أن المستقبل المعد لكم، شر من الحاضر الذي يعنتكم، وتذوقون من مرارة الفقر والذل مالا يوصف بالقول ، فان الذوق أقوى أنواع الادراك فلا يحتاج الى الوصف

وإنكم أنتم يا عرب فلسطين ، ويامن شرفكم التاريخ بمعركة حطين ، قد خصصتم بما لم يصب به أحد من العالمين ، من الظلم والذل والعذاب المهين، لافرق فيه بين المسلمين والمسيحيين ، بما تحشره الدولة البريطانية في وطنكم من شذاذ اليهود الصهيونيين ، لتطردكم منه وتعيد فيه ملك اسرائيل ، تكذيباً لوعيد الله لهم على لسان المسيح ومحمد عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم

على أن هذه الدولة المشهورة عند أدباء أوربة وساستها بالرياء الفريسي قد صبغت الاستيلاء على القدس بالصبغة المسيحية ، ووصفت هذه الحرب بأنها آخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحروب الصليبية ، وأقامت الاحتفالات لفتح أورشليم في الكنائس الانكليزية ، فلينظر مسيحيو أورشليم والناصرة وبيت لحم وسائر البلاد التي تشرفت بولادة المسيح ونشأته ، وتجواله ومعيشته ، وسمع أجدادهم فيها مواعظه العالية، ووصاياه الاصلاحية السامية ، ورأوا آياته وعجائبه الدالة على صدقه ، وتكذيب أعدائه الذين طعنوا ومازالوا يطعنون في دعوته ، ويقذفون أمه العذراء الطاهرة سيدة نساء العالمين ، بما برأها الله منه على لسان رسوله محمد خاتم النبيين، وسماه بالبهتان العظيم

لينظر هؤلاء المسيحيون ماذا كان من حظهم من هذا الفتح المسيحي الصليبي، الذي هو أجدر أعمال الانكليز باسم الرياء الفريسي ، وليتذكروا ان صفقتهم كانت تكون أخسر مما هي لولا كنائس أوربة المسيحية وشعوبها المسيحية ودولها المضطرة الى مراعاة شعورهم ، وحسبهم مما هم فيه تفضيل أعداء المسيح الصهيونيين عليهم ، وجعل وطنه وطنا لهم، ليقيموا فيه مسيحهم الذي يجدد لهم ملك داود وسليمان المادي الذي يزعمون أن أنبياءهم بشروهم به، ويكذبون ابن مريم الصادق الامين، الذي قال مؤيداً بروح القدس إنه هو المسيح الحق الذي بشر به أولئك النبيون، وان ملكه سماوي لا أرضي، روحي لامادي، فانهم كانوا وما زالوا عبيد المادة ، فاذا جاءهم ملك مادي لايزيدهم إلا طغيانا وغلوا في عبادة المال ، وانما كانوا وما زالوا في أشد الحاجة الى تلك التعاليم الانجيلية الروحية التي تصدهم عن هذه العبادة للمال، والطمع والاثرة على الناس ، حتى بغضتهم الى أكثر شعوب البشر، فان تجدد لهم ملك وهم على مايعلم جميع الناس فانهم لايكونون إلا كما قال الله عزوجل (أم لهم نصيب من الملك ؟ فاذاً لايؤتون الناس نقيرا) حتى لايستطيع أحد أن يعيش معهم ولو فقيرا (النقير النكتة في ظهر نواة التمرة وهي كناية عن الشيء الحقير)

أيها العرب الكرام : المحتفلون بذكرى السلطان صلاح الدين العربي العدناني كما روى ابن خلكان المؤرخ الشهير - وبذكرى معركة حطين العربية الفلسطينية - يجب أن تبثوا في الامة العربية كلها أن الخطر عليها من الاستعمار الاوربي في هذا الزمان ، بل في هذا العام ، أكبر وأخطر مما كان قبل معركة حطين الفاصلة، وان ما يجب عليها لدفع هذا الخطر من الجهاد بالاموال والانفس، هو أعظم وأشق مما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قام به أجدادهم في حطين ، تحت لواء صلاح الدين ، ففازوا بالنصر المبين

ربما يتوهم بعضكم أنني أعني بهذه المشقة أن الامة العربية لا تملك ما يملك المعتدون عليها ، والجادون في السعي لاستعبادها، من المدافع والدبابات والطيارات والاساطيل، فتقاتلهم بمثل سلاحهم كما أوجب الشرع عليها ، كلا ان هذا أهون الخطرين ، وانما الخطر الاكبر الذي يندفع باندفاعه كل مادونه هو قتال العرب بالعرب ، وتخريب بيوتهم بأيديهم، بما يبذله هؤلاء المستعمرون لهم من مال يستأجرونهم به لقتل أنفسهم، وما هو الا مما يسلبونه من بلادهم في الحال أو المآل ، وبما يستخدمون به طلاب الامارة والوزارة وما دونهما من المناصب لخيانة أمتهم وهدم معاقل استقلالها ، وإنما هو ألقاب باطلة لا يخرجون بها عن كونهم خدما أذلة للمستعمر السالب لسلطانهم الصحيح ، ومجدهم التليد ، فلعنة الله على أمثال هذه الامارات والوزارات والمناصب الصورية المدنسة برجس الخيانة ، وعلى هذا السحت الذي يبيعون به أوطانهم لاعدائهم

وان أمة يعيش فيها أمثال هؤلاء الخونة مكرمين مخدومين مزينين بألقاب الجلالة والعظمة، والسمو والفخامة والسعادة، لا يمكن أن تكون أمة عزيزة مستقلة، بل لابد ان يسلب منها مابقي لها من استقلال ومال وشرف وحرية، إلا أن تتوب الى ربها ، وتجتث شجرة الخيانة من بلادها كلها، فالامة العربية مستعدة للحياة ، ولا تلبث بعد تطهيرها من هؤلاء الانذال، أن يظهر فيها مثل صلاح الدين فيقودها الى الوحدة ومجد الاستقلال

لا أقول لكم عاقبوهم بمثل ما عاقبت وتعاقب به الامم الحية أمثالهم ، وما أشار به حكيم الشرق وموقظه السيد جمال الدين الافغاني قدس الله روحه في معالجة فتنتهم، بل أقول إنما دون ذلك من العقوبة الادبية قد يفضي الى تطهير الامة من رجسهم

العقوبة الادبية يملكها الكتاب والخطباء والشعراء والمصنفون والجمعيات العلمية والاحزاب السياسية، فعلى هؤلاء كلهم أن يتعاونوا على تنفيذ العقوبة بما ينظمون من القصائد والمقاطيع والاغاني الوطنية في تشهيرهم، وتشويه خيانتهم، وتسجيل اللعنة عليهم، وبما يلقون من الخطب في مثل هذا المحفل الحافل ، وفي الاندية والسمّار والمساجد، وبما يكتبون من المقالات التاريخية والاجتماعية في المجلات والجرائد ، وبما يصنفون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الكتب والرسائل ، وبما يلقنون من علم الاخلاق والاجتماع لطلاب المدارس

وأما الاحزاب السياسية فعليها فوق هذا أن تسعى لاسقاط سلطتهم ، وتأليب الامة عليهم ، واحباط كل سعي لهم في تأليف عصبية لهم في أي عمل من أعمالهم ، حتى لايجدوا في الامة رجلا قادرا على العمل يكون آلة للاجنبي المعتدي على بلادها ، أو آلة للآلة الخائن لها ، فان لبعض الامور السلبية من التأثير والبلاء في بعض الاحوال، ما لا يكون للحديد والنار

أتدرون أيها الاخوان لماذا رفع الانكليز الحماية عن مصر..؟ إنهم لم يرفعوها لما قتل الثائرون من رجالهم القليلين ، وإنما رفعوها للثورة السلبية التي اتفق عليها الموظفون في الحكومة بامتناعهم من حضور الدواوين، واشتغالهم فيها تحت سيطرة الانكليز ، بل ما تسنى للانكليز احتلال مصر الا باستعداء حكومتها إياهم على طلاب النصفة والاصلاح من شعبها ، وبخيانة الخونة من باشاواتها لها، (وقد بينا هذا في تاريخ الاستاذ الامام الذي هو التاريخ الوحيد للنهضتين المصرية والاسلامية) ثم لم يتمكنوا من سلب نفوذ حكومتها وجعلها آلة صماء في أيدي مستشاريهم ومن دونهم المفتشين وغيرهم ، إلا بأيدي تلك الجماعة التي كانوا يسمونها مجلس النظار أو الوزراء ، وأطلق عليها شيخنا الاستاذ الامام اسم (جمعية الصم البكم)

وإنكم لتجدون أيها الاخوان للثورة السلبية في هذه الايام مثلا أكبر وأوسع مما كان في الثورة المصرية، وهو الثورة الهندية، ولكن ينقصها أن ساسة الاكثرين من الوثنيين، قد عجزوا عن ارضاء جميع الزعماء من المسلمين ، ولو اتفق الفريقان كما اتفق المسلمون والقبط في مصر ، لامكنهم أن يعمموا ثورتهم السلبية بعدم التعاون مع الانكليز على أعمال الحكومة ، وبعدم دفع الضرائب لها ، وإذا لكان استقلال الهند قاب قوسين أو أدنى .

أيها الاخوان — أيها العرب الكرام

إنه لا خير لكم في هذا الاحتفال ولا فائدة لكم من هذه الذكرى لسلفكم ، إلا اذا استفزتكم للجهاد في حفظ ما بقي لامتكم العربية من الاستقلال في جزيرتها، منبت شجرتها ، وموطن قوتها ، ومصدر حضارتها ، ومأرزها عند شدتها، وفي استرداد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما فقد من بلادها ، ولا تهولنكم عظامة المعتدين الحربية، ولا ثروتهم المالية، فانكم إذا جمعتم كلمة أمتكم ، ووفقتم لنبذ الخونة الذين يقاتلكم الاجنبي بهم ، فان شعوب أوربة العاقلة المقتصدة لن تسمح لحكوماتها الطامعة بتجهيز جيوش صليبية جديدة مجهزة بالآلات الحربية الحديثة لفتح جزيرتكم، والاستيلاء على الحرمين كما استولوا على الثالث ، وإنما يفعلون كل شيء من إذلالكم بكم ، وانتزاع بقية استقلالكم بأيديكم ، كما قلنا آنفا لكم ، وقلنا ذلك وكتبناه من قبل لقراء مجلتنا (المنار) وتفسيرنا ولغيرهم في بعض الصحف

ومما كتبناه في مباحث هذه المسألة خاصة مارواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان (رض) مرفوعا إلى النبي ﷺ قال « إن الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض . وإني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة عامة (أي القحط) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم (أي ملكهم وسلطانهم ومستقر قوتهم) وإن ربي قال لي : يامحمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد، وإني أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا »

صدق رسول الله ﷺ في كل ما بشر به وأنذر — وما كان إلا صادقا ، وما كان خبره عن الله إلا حقا ، فقد أعطى الله أمته كل ما وعدها ، وما سلب أعداؤها شيئا من بلادها ، ولا سلطوا على شعب من شعوبها ، إلا بمساعدة المسلمين أنفسهم إياهم على أنفسهم ، كما يعلمه كل واقف على تاريخ الاستعمار، وآخره استيلاؤهم على هذه البلاد العربية من فلسطين الى العراق. فالى متى تسكت الامة للخونة الذين رضوا أن يكونوا شر سلاح للاجانب تفتح بهم بقية بلادها، لتقضي على البقية القليلة من ملكها ؟؟

الاخوتان الدينية والقومية

هذا — وانني أوصي إخواني في الدين وإخواني في القومية العربية والوطنية بالحذر التام من التفريق بينهم بدسائس الاجانب الطامعين ، وأعوانهم من الوطنيين المنافقين المأجورين، والمتعصبين المغرورين، الذين يبغون التفريق بينهم باختلاف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدين، فان مصلحتهم القومية والوطنية واحدة، وقوميتهم واحدة، ولغتهم واحدة، وان المسلمين لا يرون في اخوة الدين الروحية ما يعارض اخوة القومية، لان الله قد أثبتهما في كتابه العزيز، فقال في الاولى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقال في الثانية (كذبت قوم نوح المرسلين * إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين) وقال مثل ذلك في اخوة هود وصالح الرسولين العربيين وغيرهما لأقوامهم المشركين

وان المطلعين على التاريخ من اخواننا في القومية العربية يعلمون أن دولنا العربية لم تفرق بين المختلفين في الدين في العدل، والمساواة في حرية الاعتقاد والعبادة والنفس والعرض والمال، وان بغي الصليبيين وتعصبهم وما سفكوه من الدماء البريئة باسم الصليب ونزغة الدين المسيحي إفكا وزوراً لم يكن له من التأثير بين المسلمين والنصارى في هذه البلاد العربية عشر معشار ما كانوا يظنون، بل كان الجميع يعيشون متحدين متعاونين في أمور دنياهم، وكل منهم حر مستقل في أمور دينه، على قاعدة الشرع الاسلامي [لهم مالنا وعليهم ما علينا] فلم يستطع الصليبيون الاولون ولا الآخرون أن يفسدوا علينا من إخواننا في القومية ما أفسده علينا خلفهم من إخواننا في الدين والقومية معاً بحب الامارة والوزارة والمال

أذكر في هذا شهادة لعالم مسلم عربي النسب والادب، أوربي الوطن، وهو الرحالة ابن جبير الاندلسي الذي مر ببلادنا سائحا بعد عودته من الحجاز في عهد الحرب الصليبية سنة (٥٨٠) فانه قال في رحلته عند ذكر جبل لبنان الذي كان فاصلا بين البلاد الساحلية التي احتلها الصليبيون وبين غيرها وذكر من كان في هذا الجبل من عباد المسلمين ما لفظه:

« ومن العجب ان النصاري المجاورين لجبل لبنان إذا رأوا به أحد المنقطعين (أي للعبادة) من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا إليهم، ويقولون هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم، وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطردة، والظلال الوارفة، وقلما يخلو من (أهل) التبتل والزهادة، وإذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة فما ظنك بالمسلمين بعضهم مع بعض؟

« ومن أعجب ما يتحدث به أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم ، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم » إلى أن قال بعد ذكر حرية التجارة للجميع بين البلادين « مع الاتفاق والاعتدال في جميع الاحوال ، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم ، والناس في عافية ، والدنيا لمن غلب - هذه سيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملوكهم كذلك » انتهى

ولا يخفى على أحد منكم ايها الاخوان في هذا العهد أن هؤلاء الاجانب المستعمرين لا همّ لهم في بلادنا إلا استعبادنا وسلب ثروتنا ، وانه لا فرق عندهم بين المسلمين والنصارى في ذلك ، ولكن الانكليز يفضلون اليهود على النصارى كالمسلمين في فلسطين لان لهم ربحا ماليا وسياسيا من مساعدتهم ، فهم يبغون ان يكونوا مانعاً من بقاء هذه البلاد للعرب وحدهم ، فحائلا دون تأسيس الوحدة العربية التي شعر العقلاء في جميع البلاد العربية بوجوب التعجيل بتأسيسها قبل قطع المستعمرين طريقها عليهم (*

وكذلك تفعل فرنسة بتفضيل النصارى عامة والموارنة خاصة على الطوائف الاسلامية . وإنما غرضها من ذلك التفريق بين الطوائف حتى لا يكون لهم وحدة قومية ولا وطنية ، والدولتان ماديتان ماليتان ، والدين عندهما من بضائع التجارة المعنوية ، ومنها ما لا ربح له إلا في المستعمرات ، فلذلك تساعد فرنسة الجزويت في مستعمراتها (وهي ترى أن سورية ولبنان منها) ولكنها لا تسمح لهم بالمقام في بلاد فرنسة نفسها

فظهور هذه النية السوءى من الدولتين الماديتين للعرب مسلميهم ومسيحييهم أفضل فرصة تمكنهم من جمع كلمتهم ، والحرص على قوميتهم ، ووحدة أمتهم ، فلم يبق عاقل متعلم منهم تغره الدسائس الاستعمارية التي كانت تخدع الفريقين بما تحملهما به على التعادي ، فتخوف النصارى من كثرة المسلمين ، وتغري المسلمين بالنصارى لميلهم إلى أعداء أمتهم وبلادهم ، وقد أحبطت مصر العربية هذه الدسيسة ، وان

(*) وإنما رفعوا الانتداب عن العراق لفتك ثورته وشدة شكيمته ودهاء ملكه وكثرة نفقاته واستبدلوا به معاهدة تمكنهم من استغلال ثروته وحفظ مواصلات الامبراطورية فيه والتمكن من تقوية سلطتهم العسكرية من حوله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهل سورية وفلسطين لأشد شعوراً من أهل مصر بحاجتهم الى الاتفاق والوحدة ، فجميع زعمائهم يدعون اليهما إذا كان سعد باشا قد انفرد بقوة وفده باتمامهما في مصر، وان للجميع من تاريخ الدول العربية خير قدوة فيه

أيها الاخوان في القومية والوطن

ان الغلو في العصبية الدينية لم تعرفه البلاد العربية ولا الامة العربية الا مما بثته فيها الحرب الصليبية ثم المدارس الاوربية، فقد كانت المدارس هي التي دست سم التفريق والتعادي في دسم العلم والحضارة الغربية ، لان الذين تعلموا في مدارس الافرنج أحسنوا ظنهم بهم ، وجهلوا مقاصدهم منهم ،وسبب ذلك أنه لم يكن لهم دولة رشيدة ولا جمعيات قومية توجه أولادهم الى التربية والتعليم الذي يعزز الدولة وينهض بالامة ، وانما كان الرجل يعلم ولده لاجل الاستعانة بعلمه على أسباب المعيشة

وكان المستعمرون ودعاتهم الذين ربوهم وعلموهم يظنون ان بلادنا اذا آل امرها اليهم بسقوط الدولة العثمانية فان أهلها يكونون من اغنى الناس وأعز البشر ، لافرق بينهم وبين الافرنج محرريهم في شيء ، وكانوا يبثون لهم هذه الدعاية . فلما زال سلطان الدولة العثمانية عن البلاد ظهر لاولئك الدعاة ولسائر الناس ان الدولة العثمانية كانت أبر وارحم منهم ، لانها كانت الى آخر عهد السلطان عبد الحميد ترضى من البلاد بقليل من الضرائب وشيء من رشوة الحكام، وتترك لهم الحرية في اديانهم ومذاهبهم ولغاتهم وقومياتهم وتربيتهم وتعليمهم وكسبهم ، وما كان في آخر العهد الحميدي من الضغط السياسي فسببه خوف السلطان على شخصه وسلطته من أحرار قومه وأعوانهم

وظهر لهم ولغيرهم أيضاً أن هاتين الدولتين لا يتركان لاهل البلاد (التي رزئت بنفوذهم وما سموه بالانتداب لمساعدتهم على استقلالهم) استقلالا ، ولا ثروة ولا قومية ، ولا وطنا ولا حرية ، ولقد رأينا ألينهما ملمسا في الاستعمار أشدهما وطأة علينا في هذه البلاد المقدسة ،فقد ابتدع انتدابها فيها بدعا من الظلم لم يسبقها اليه أحد من الظالمين المستبدين ، وهو هبة وطننا الى أوزاع وأشتات من شعب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذي اثرة وعصبية تستغيث منهما جميع شعوب الارض، حتى إننا نرى أرق هذه الشعوب في كل علم وعمل وقوة وهو الشعب الالماني يخاف منه ويناوئه، فماذا يرجو الشعب الفلسطيني الصغير الفقير الضعيف من البقاء معه؟ وأنى يأمن اخوانه في شرق الاردن على أرضهم وديارهم ومعايشهم، وهم يعلمون أن أرض فلسطين وحدها لاتكفي اليهود لتأسيس وطنهم القومي وإعادة ملك إسرائيل، فلابد لهم من شرق الاردن وما ضمه الانتداب اليها من أرض الحجاز، بل لا بد لهم من إعادة ملك سليمان كله ؟؟؟ ونحن أولى منهم باعادة ملك العرب كله او ما تقطنه الشعوب العربية منه على الاقل، فانه لا حياة لنا ولا بقاء فيما دون ذلك، بل لا حياة لنا في أوطاننا التي نسكنها ونملك رقبة أرضها منذ قرون طويلة إلا باتحادها كلها، وتعاونها على إحياء الحضارة العربية والعمران الذي تقتضيه علوم هذا العصر وفنونه، وجعلها ركنا من أركان السلم العام، وهي أكبر خطر عليه الآن بضعفها وطمع الطامعين فيها

الجامعتان العربية والاسلامية

أيها القوم:

لا يطوفن في خاطر أحد منكم أن الجامعة الاسلامية التي كثر حديث الافرنج عنها وحسبانهم لها كل حساب تعارض ما قام عليه الدليل من وجوب الجامعة العربية وتوقف حياتكم عليها، ولاما يدعو اليه كثير من ساسة الشرق من وجوب تأسيس جامعة شرقية أيضا، فان كل جامعة من هذه الثلاث لها دائرة خاصة بها، من حيث يؤيد بعضها بعضا في دفع عدوان الغرب عن الشرق كله

ياقوم: إن الواضع لهذه السياسة الشرقية من جميع أركانها وجوانبها هو حكيم الشرق الاكبر وموقظه من رقاده السيد جمال الدين الافغاني، وكان معينه الاكبر عليه وناشره بلسانه الفصيح القوال، وقلمه البليغ السيال، شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصري، وقد شرحنا ذلك في المنار وفي تاريخهما الحافل المستقل واتبعناهما فيه، وما كان الزعيم السياسي الكبير (سعد باشا زغلول) الذي وحد القومية المصرية مع حرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل ذي دين في دينه إلا ربيب الشيخ محمد عبده وتلميذه، وما تلقى هذه السياسة الا منه، كما شرحناه في هذا التاريخ وأيدناه ببعض خطوط سعد باشا منقولة فيه برسمها الشمسي العكسي، فالوحدة القومية والوطنية، لا خلاف فيها بين رجال الدين ورجال المدنية

أيها الفلسطينيون

ان لديكم شاهدين عدلين على عدم التعارض بين الجامعتين: هما جريدة الجامعة العربية في القدس، وجريدة الجامعة الاسلامية في يافا، ألا ترون كلا منهما داعية إلى القومية العربية واتحاد جميع الناطقين بالضاد فيها، وأصحابهما من خيار المسلمين؟

وان لديكم شاهداً حاضراً يتضمن شواهد كثيرة. وهو جعل هذا الاحتفال بذكرى السلطان صلاح الدين ومعركة حطين، مشتركا بين المسلمين والمسيحيين، والداعي اليه من أشهر علماء المسلمين، وخطباؤه من الفريقين

وأما الاسلام نفسه فهو أوسع صدراً مني ومن الشيخ محمد كامل رئيس هذا الاحتفال القومي الوطني، ومن سعد باشا زغلول، ومن أستاذي الجميع: الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين. بل به اهتدينا في دعوتنا هذه

الحق أقول لكم ان الاسلام يسمح لنا أن نتفق مع اليهود الوطنيين المستعربين الذين يعيشون معنا على قاعدة شرعنا « لهم مالنا، وعليهم ما علينا » ولكنه لا يسمح لنا بأن نتفق مع الصهيونيين الاعاجم الذين يريدون سلب وطننا منا وجعله وطنا عبرانيا لهم، فنحن خصوم لهؤلاء دون سائر اليهود

قال الله عز وجل (لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذينَ لَمْ يقَاتِلوكُمْ في الدِّين ولَمْ يخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تبَرُّوهم وتُقْسِطوا اليْهِمْ. إنَّ الله يحِبُّ المُقْسطين * إنمَا ينهَاكُم الله عَنِ الذينَ قَاتَلوكم في الدّين وأَخْرَجُوكم مِنْ دِيَارِكم وظَاهَروا عَلى اخْراجكم أَنْ تَوَلَّوْهم. وَمَنْ يتَوَلَّهُم فأُولئِكَ هم الظَّالمون)

وهؤلاء الصهيونيون يريدون إخراجنا من ديارنا، وغلبنا على أوطاننا، وإنما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هم آلة من آلات المستعمرين في قتل أمتنا كلها ، فالواجب علينا دينا وقومية ووطنية أن نجمع كلمتنا ، ونوحد أمتنا ، وأن يستعين المسلمون منا على مسخري هذه الآلة وغيرها في استعمارنا بالرأي العام الاسلامي ، وأن يستعين المسيحيون منا عليهم بالرأي العام المسيحي ، فبهذا الاتحاد دون سواه يرجى أن ندفع هذا البغي والعدوان عن أنفسنا ، فان لم نفعل كنا نحن الظالمين لانفسنا ، (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * ولا يظلم ربك أحدا) والسلام على من اتبع الهدى . اهـ

﴿ كلمتان كتبهما لشابين من اخواننا المغاربة على رقعتين لهما بطلبهما ﴾

الكلمة الاولى وهي سياسية

نواحي الحياة كثيرة والمسلمون مهددون من كل ناحية منها ، والخطر عليهم في مغرب بلادهم أشد منه في مشرقها ، فان مستعبديهم لم يقنعوا بسلب ثروتهم وحريتهم العلمية والمدنية وحقوقهم السياسية ، بل شرعوا بتحويلهم عن دينهم بطريقة علمية نظامية ، فوجب عليهم بذل النفس والنفيس لتأمين حرية دينهم واعادة ماسلب من ملكهم بالوسائل الممكنة ، ولا يمكن أن يصيبهم من الضرر في هذا الجهاد أكثر مما هو واقع بهم والمتوقع مع الاستسلام أعظم . (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

محمد رشيد رضا

الكلمة الثانية في اختيار الكتب والصحف

كثرت في هذا العصر الصحف والكتب في الادب والسياسة وعلم الاجتماع ومرجت فيها الآراء ، وتناوحت الاهواء ، فهي بين أهلها فوضى ، والناس في أمر مريج منها ، فعلى العاقل الحريص على عمره ان ينفقه في ترقية مداركه وتزكية نفسه ، واعلاء كلمة ملته وبناء مجد أمته ، عليه ان يختار لنفسه من أمثل الصحف والكتب مايضيء له سبيل العمل ، ويبصره بمعاثر الزلل ، وأن يجتنب ما يجذبه اليه الهوى وتستهويه فيه اللذة وانما آفة العقل الهوى والسلام على من اتبع الهدى ؟

وكتب في القاهرة ـ بتاريخ شوال سنة ١٣٥٠ محمد رشيد رضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

﴿ في حقوق النساء في الاسلام وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

(تابع لما نشر في الجزء الماضي وما قبله)

الطـــــلاق

وما في معناه من فسخ وخلع وإيلاء وظهار، ومراعاة حقوق النساء في ذلك

٤٨

﴿ مقدمة في أسبابه وحكمه عند أهل الكتاب و إسراف الافرنج فيه ﴾

(والاسباب المقتضية للفراق)

ان من مصلحة الزوجين التي تقتضيها الفطرة ويوجبها الشرع ويؤيده العقل أن يبذل كل منهما جهده لاقامة حقوق الزوجيـة المشتركة بينهما بالتحاب والتواد والتعاون والتسامح مع الاخلاص في ذلك كله ، فان سعادة كل منهما رهينة بسعادة الآخر ، وخدمتهما للانسانية لا تتم إلا به ـ وما أطلق على كل منهما اسم «زوج» الذي مدلوله « اثنان » إلا لان انسانية كل منهما تتم بالآخر فهو به يكون زوجا ويكون انسانا ينتج أناسي مثله، وكل تقصير يعرض لما في ذلك فوباله عليهما معاً سواء وقع من كل منهما أو من أحدهما، فمن ثم وجب عليهما تلافيه بالحسنى والصبر والمغفرة والعفو ، وأنل درجات المعاملة بينهما أن تكون بالتناصف والعدل، فان عجزا عن أداء الحقوق وإقامة حدود الله فيها ، وعز عليهما الصبر، كان علاجهما الاخير هو الفراق ، تفادياً من الشقاء الدائم بالشقاق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن ثم كان مشروعاً في التوراة معللا ببعض الشرور التي تقتضيه . والذي دون في الشريعة عند اليهود وجرى عليه العمل ان الطلاق يباح بغير عذر كرغبة الرجل بالتزوج بأجمل من امرأته ولكنه لا يحسن بدون عذر . والاعذار عندهم قسمان : عيوب الخلقة ومنها العمش والحول والبخر والحدب والعرج والعقم - وعيوب الاخلاق وذكروا منها الوقاحة والثرثرة والوساخة والشكاسة والعناد والاسراف والنهمة والبطنة والتأنق في المطاعم والفخفخة - وأي امرأة تخلو من ذلك كله ؟ والزنا أقوى الاعذار عندهم فيكفي فيه الاشاعة وان لم تثبت الا أن المسيح عليه السلام لم يقر منها الا علة الزنا . وأما المرأة فليس لها أن تطلب الطلاق مهما تكن عيوب زوجها ولو ثبت عليه الزنا ثبوتا

وكان الطلاق معروفا عند غير أهل الكتاب من الوثنيين ومنهم العرب ، وكان يقع على النساء منه ظلم كثير عند الجميع فجاء الاسلام فيه بالاصلاح الذي لم يسبقه اليه سابق ولم يلحقه به لاحق كسائر ماجاء به من الاصلاح

ولكن خصوم الاسلام من الافرنج ومقلديهم كانوا يعدون الطلاق من أقبح مساوي الشريعة الاسلامية على إصلاحها فيه حتى اضطروا الى تقريره والاسراف فيه بما لا يبيحه الاسلام وجعله حقاً مشتركا بين الرجال والنساء

وأما الاسلام فقد جعل الطلاق من حق الرجل وحده لانه أحرص على بقاء الزوجية التي أنفق في سبيلها من المال ما يحتاج إلى إنفاق مثله أو أكثر منه إذا طلق وأراد عقد زواج آخر ؛ وعليه أن يعطي المطلقة ما يؤخر عادة من المهر ، ومتعة الطلاق ، وان ينفق عليها في مدة العدة وقد تطول على رأي بعض الفقهاء ، ولانه بذلك و بمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة فلا يسارع إلى الطلاق لكل غضبة يغضبها ، أو سيئة منها يشق عليه احتمالها ، والمرأة أسرع منه غضبا وأقل احتمالا ، وليس عليها من تبعات الطلاق ونفقاته مثل ما عليه ، فهي أجدر بالمبادرة إلى حل عقدة الزوجية لادنى الاسباب او لما لا يعد سببا صحيحا إن أعطي لها هذا الحق

والدليل على صحة هذا التعليل الاخير أن الافرنج لما جعلوا طلب الطلاق حقا للرجال والنساء على السواء كثر الطلاق عندهم فصار أضعاف ما عند المسلمين ، وقد جاء في الاحصاءات التي نشرتها الصحف في هذا العهد أن نسبة الطلاق إلى عقود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الزواج في أمريكا بلغت ٢٠ في المائة كما تقدم في مناسبة أخرى (*) ولن تبلغ هذه النسبة في البلاد الاسلامية واحداً في المائة ولا في الالف أيضا إلا أن يكون في مصر

ومما قرأناه في الصحف من اخبار طلب نساء الانكليز للطلاق الذي قبل وحكم به ان إحداهن طلبت الطلاق لان زوجها كان بغير لحية عند ما تزوج بها ثم اطلق لحيته فسأله القاضي عن السبب فقال انه يرى اللحية جمالا وكمالا للرجل فلم يقبل عذره وحكم بالطلاق

وان امرأة اخرى طلبت الطلاق لان زوجها لا يلتزم تغيير لباسه بحسب التقاليد بأن يلبس للمائدة لبوسها وللسهرة لبوسها فكان هذا ذنبا مقبولا موجبا لاجابة طلبها

ومن احكام الطلاق عند اليهود ان من لم يرزق من زوجته بذرية مدة ١٠ سنين وجب عليه ان يفارقها ويتزوج بغيرها ـ والاسلام لا يوجب طلاقها عليه إذا لم يهبها الله تعالى ولداً ولا التزوج عليها ولكن يستحب له او يندب إن يتزوج طلبا للنسل، وان يمسك المرأة المحرومة منه ويعدل بينها وبين المرأة التي يهبه الله منها النسل، الا ان تطلب هي الطلاق وترى انه خير لها فيستحب له إجابة طلبها إذا لم يكن عنده مانع ديني يرجح به إمساكها عنده كاعتقاده ان طلاقها يكون مفسدة لها

ومن احكامه عند اليهود ان الرجل متى نوى طلاق امرأته حرمت عليه معاشرتها بمجرد نيته ووجب عليه تنفيذ عزمه على الطلاق حالا .

(*) جاء في جريدة الجهاد بتاريخ ٤ المحرم سنة ١٣٥١ ١٠ مايو سنة ١٩٣٢ تحت عنوان جنون الطلاق في أمريكا ما نصه :

«أكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل يتغير مجرى حياتهم كل سنة بسبب حوادث الطلاق»

... ما ذكر في بيان احصائي أذاعته الحكومة الامريكية وجاء فيه : ان أغلب حوادث الطلاق تقع عادة في العام الرابع بعد الزواج ... وان قضايا الطلاق قد نقصت قليلا في العامين الاخيرين بسبب الازمة الاقتصادية وقد كان عدد هذه القضايا في سنة ١٩٢٩ التي تعتبر من سنوات الرخاء ٢٠١٤٦٨ قضية حكم فيها بالفصل بين الزوجين

ويفهم من هذا الاحصاء أن عشرين في المائة من حوادث الزواج في أمريكا تنتهي بالطلاق وقد كانت حوادث الطلاق في سنة ١٩٢٩ بمعدل حادث في كل دقيقتين... أما في سنة ١٩٣٠ فقد نقصت الحوادث بنسبة لا بأس بها

وقد ذكر البيان الآنف الذكر أنه في المدة بين سنة ١٨٦٧ وسنة ١٩٢٩ قد زاد عدد الطلاق بنسبة ٢٠٠٠ في المائة وزاد عدد السكان بنسبة ٣٠٠ في المائة وحوادث الزواج بنسبة ٤٠٠ في المائة

واذا ظل الحال على هذا المنوال واستمرت زيادة حوادث الطلاق بالنسبة الآنفة الذكر فان عدد الزيجات الفاشلة قدر بي في سنة ١٩٦٥ على ٥١ في المائة

والسبب الشائع في أكثر حوادث الطلاق هو العربدة وسوء المعاملة وعجز الازواج عن الانفاق.

وقد ذكر البيان المشار اليه أن ٩ في المائة فقط من المطلقات يطلبن من أزواجهن نفقة شرعية . و٦ في المائة منهن يحكم لهن بالنفقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٩

(عوائق الطلاق في الاسلام ومراعاة حقوق النساء فيه)

الطلاق مكروه في الاسلام ولذلك وضع أمام الرجل موانع وعوائق تصده عنه:

(منها) الترغيب في الصبر على ما يكره الرجال من النساء من خلق وخلق وعمل بما للصبر من الفوائد والثواب عند الله تعالى وبما يرجى أن يكون للمرأة المكروهة من ولد صالح يكون سعادة لاهل بيته ولامته . قال تعالى (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا) وفي معناها حديث تقدم في الوصايا بالنساء

(ومنها) ما تقدم بيانه من تأديب المرأة الناشزة بما يرجى به صلاحها

(ومنها) ما تقدم من بعث حكم من أهله وحكم من أهلها يبذلان جهدهما في اصلاح ذات البين

(ومنها) ماورد عن النبي (ص) من ذم الطلاق وبغض الله له للترغيب عنه كقوله « ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق - وقوله - أبغض الحلال إلى الله الطلاق » رواهما أبو داود من حديث ابن عمر وكقوله « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة » رواه أصحاب السنن إلا النسائي وابن حبان والبيهقي من حديث ثوبان وكقوله (ص) من حديث آخر « وان المختلعات هن المنافقات »

وقد أبطل الله في كتابه كل ما كان عليه العرب من مضارة للنساء في الطلاق ونذكر بعض الآيات في ذلك من غير تطويل في تفسيرها:

فمما أبطل الاسلام به ظلم العرب للنساء في أحكام الطلاق (١) تحديده العدد الذي يملك الرجل الرجعة فيه بمرتين ولم يكن عندهم محدوداً (٢) تحريمه أخذ المطلق ما كان أعطاه للمطلقة عند الزواج من مهر أو غيره كله أو بعضه (٣) تحريمه إمساك المرأة المطلقة في عدة بعد عدة مضارة لها (٤) تحريمه عضل أولياء المرأة لها أي منعها بعد انقضاء العدة من الزواج مطلقاً او الرجوع إلى زوجها بعقد جديد اذا تراضيا على ذلك بالمعروف وقد جعل الله زوجها الاول أحق بردها اذا أراد اصلاح ما كان فسد من أمر معاشرتها بالمعروف

قال الله تعالى (٢ : ٢٢٩ الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد كتبنا في تفسير هذه الآية من تفسير المنار (ج٢) مانصه :

كان للعرب في الجاهلية طلاق ومراجعة في العدة ولم يكن للطلاق حد ولا عدد فان كان لغاضبة عارضة عاد الزوج فراجع واستقامت عشرته ، وان كان لمضارة المرأة راجع قبل انقضاء العدة واستأنف طلاقا ثم يعود الى ذلك المرة بعد المرة أو يفيء ويسكن غضبه فكانت المرأة ألعوبة بيد الرجل يضارها بالطلاق ما شاء أن يضارها، فكان ذلك مما اصلحه الاسلام من امور الاجتماع . وكان سبب نزول الآية ما اخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة وأورده السيوطي في اسباب النزول قالت كان الرجل يطلق امرأته ماشاء ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها مئة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته :والله لا اطلقك فتبيني ولا آويك ابدا ،قالت وكيف ذلك ؟ قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﴿ص﴾ فسكت حتى نزل القرآن (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان) اه ثم قال تعالى

(٢:٢٣١ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا،ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ،ولا تتخذوا آيات الله هزوا ،واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به،واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم

(٢٣٢ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

نهى الله تعالى أولياء المرأة أن يعضلوها أي يمنعوها أن تعود إلى زوجها الاول إذا رضي كل منهما بذلك وانما يكون هذا بعد انقضاء العدة بعقد جديد ومهر جديد ، وقال في الآية التي قبلها تين الآيتين (وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا اصلاحا) وهي في ردها الى عصمته قبل انقضاء العدة . والافضل للمرأة ألا تعرف إلا زوجا واحداً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٠

(منع مضارة النساء بالايلاء والظهار)

أما مضارة الايلاء فهو ان يغضب الرجل على امرأته فيحلف ألا يقربها، وهو الايلاء منها، فالشرع ضرب له أجلا أربعة أشهر فان فاء أي رجع عن يمينه إلى أداء حق الزوجية الذي حلف على تركه غفر له ما كان فعله أو قصده من ضررها ، فان لم يفعل وجب منع الضرر بالطلاق، فبعض الائمة يقول إن الطلاق يقع بانقضاء الاربعة الاشهر ويكون بائنا لا رجعة له فيه، و بعضهم يقول يلزمه القاضي أحد الامرين : الرجوع عن اليمين أو الطلاق . وأصل ذلك الآيتان من سورة البقرة (٢: ٢٢٦ و ٢٢٧)

وأما الظهار فهو أن يحرم الرجل امرأته بتشبيهها بأمه وكان أشهر ألفاظهم في الجاهلية به قوله لها، أنت علي كظهر أمي، وقد حرمه الاسلام وجعل كفارته أن يعتق عبداً قبل أن يمس امرأته فان لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا . و بيان ذلك في أول سورة المجادلة

٥١

(حق النساء في فسخ عقد الزوجية ومخالفة الرجل)

ان لحل رابطة الزوجية ثلاثة طرق فسخ الحاكم للعقد، والخلع، والطلاق فأما الفسخ فيكون بأسباب مشتركة بين الرجال والنساء كالعيوب الخلقية المانعة من أداء الوظيفة الزوجية والامراض العضالة المعدية ، و يكون بطلب المرأة اذا امتنع الرجل أو عجز عن النفقة عليها أو غاب غيبة منقطعة بشرطها . والعيوب المرضية التي كان يثبت بها الخيار في الزواج ولكل من الزوجين فسخه بها من عهد الصحابة (رض) هي الجنون والجذام والبرص وزاد بعضهم السل لما عرفوه (وفي معناه كل داء معد بالتجربة الثابتة عند الاطباء) وقد صرح ابن رشد بتعليل بعضهم للمرض المبيح للخيار والفسخ بسرايته الى النسل . وأما عيوب الخلقة فالمنصوص عليه منها ما يمنع أداء وظيفة الزوجية وهي العنة والجب والخصاء في الرجل ، والرتق والعفل والقرن في المرأة . وللفقهاء خلاف في هذه العيوب وأحكامها ، وانما غرضنا هنا أن نبين أن الاسلام يحكم في أمثال هذه المسائل بالعدل والمساواة بين الرجل والمرأة في العيوب لانها مشتركة قد يوجد في كل منهما ما يعد من الظلم قبول الآخر به بالاكراه، ومن قواعد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاسلام «لاضرر ولاضرار» (١) ثم انه يعطي المرأة حق طلب الفسخ في حالة امتناع الزوج أو عجزه عن أداء حقها لان له في مقابله حق الطلاق

وأما الخلع فقد جعل مخرجا المرأة من الزوجية اذا كرهت الزوج لسبب غير الاسباب التي يثبت لها بها حق طلب الفسخ وهو أن تفتدي بما تبذله له من العوض عما بذله لها من مهر وغيره وما أنفقه عليها ليرضى بحل عقدة الزوجية ويكون غير مغبون ولا مظلوم ، وحكم هذا الخلع حكم الطلاق البائن الذي ليس للرجل فيه حق الرجعة بدون قبول المرأة

٥٢

عدة الطلاق ومتعته ونفقته

من رحمة الاسلام بالنساء وحفظه لحقوقهن ودفعه الضرر عنهن ما شرعه من أحكام عدة الطلاق والوفاة ، وهي المدة التي ليس للمرأة أن تتزوج إلا بعد انقضائها وفي حال الطلاق الرجعي وهو مرتان يجوز للرجل أن يراجعها بدون عقد جديد ولا مهر ، وسبب العدة الاصلي أن يعلم براءة رحم المرأة من الحمل ولذلك كانت المطلقة قبل الدخول بها لا عدة عليها . ولعدة الوفاة حكمة أخرى هي الوفاء للزوج

ومما شرعه الله من مراعاة حقوقهن في ذلك أن يطلق الرجل امرأته في طهر لم يقربها فيه لئلا يطول عليها زمن العدة إذا كانت تعتد بالقروء وهي ثلاثة اطهار ، وأن يكون لها حق السكنى والنفقة مدة العدة للطلاق الرجعي ، وأن يمتعها عند الفراق بما يليق بثروته من نقد وغيره ، قال تعالى (٢ : ٢٣٦ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ

الموسع الغني والمقتر الفقير ، وهو بمعنى قوله في سورة الطلاق

لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)

هو في النفقة على المطلقات . واختلف العلماء في متعة النساء فقال بعضهم واجبة وقال بعضهم مندوبة والتحقيق أنها واجبة غير محددة ، وأنها من تمام ماوصف

(١) رواه الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله به الطلاق المشروع أنه تسريح بإحسان ولذلك جعلها على قدر الثروة فالغني لا يكون محسنا مالم يوسع في هذه المتعة باللائق بثروته

وحكمة المتعة تطييب قلب المرأة وازالة توهم احتقار الرجل لها أو ارتيابه فيها . وقد كان كرام السلف يبالغون في هذا التكريم . روي عن سيدنا الحسن بن علي (ع . م) أنه متع مطلقة له بعشرين ألف درهم وزقاق من عسل ، ومتع أخرى بعشرة آلاف واعتذر بقوله . متاع قليل من حبيب مفارق . وقد فصلنا هذا البحث في تفسير آية البقرة من جزء التفسير الثاني المذكورة آنفا

٥٣

الحداد على الزوج وغيره

النساء أرق من الرجال شعوراً باللذائذ والآلام ، واستجابة لدواعي المسرات والاحزان ، ومن دأبهن النواح على موتاهن ، ومن عاداتهن الحداد عليهم ، وكان النساء في الجاهلية يسرفن في هذا وذاك ، فيخمشن الوجوه ، ويلبسن الشعر ويحلقن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور ، وقد يقضين أعمارهن في ذلك ، وقد عد لبيد الشاعر الشهير رحيما معتدلا في توصيته بنتيه قبل الاسلام بالبكاء عليه وتعداد مناقبه عاما كاملا مع نهيه إياهما عن خمش الوجه وحلق الشعر

وكانت المرأة العربية التي يموت زوجها تعتزل الناس في شر مكان من البيت لابسة أدنى أخلاق ثيابها ، فتظل كذلك حولا كاملا لا تغير ثوبها ولا تغتسل ولا تمتشط ولا تقلم أظفارها ، حتى إذا انقضى الحول ألقت من مكانها بعرة تنبيء به أهلها بانتهاء الحول ، فاذا خرجت تمسحت بأول حيوان تجده من كلب أو داجن أو حمار وقد يموت ما تتمسح به من نتنها

وكان مما جاء به الاسلام من الاصلاح أن حرم عليهن النواح وخمش الوجوه وحلق الشعور وتمزيق الثياب والخروج مع الجنائز ، وأذن لهن بالحداد على الميت ثلاثة أيام فقط الا الزوج فقد أذن لهن بالحداد عليه مدة عدة الوفاة التي لا يباح لهن الزواج فيها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لغير الحامل ، وحصر الحداد في ترك الزينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والطيب واظهار السرور، وحكمته ألا يظهر منهن التعرض للزواج وعدم المبالاة بالوفاء للزوج المتوفى، فان هذا يعد نقصا وشينا لهن ، يعقب احتقار الرجال لهن ورغبتهم عنهن

ونذكر هنا بعض الاحاديث في موضوع الحداد

جاء في الصحيحين والسنن الاربع وغيرها عن أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة أن النبي (ص) نهى النساء أن يحددن على ميت فوق ثلاث الا على الزوج أربعة أشهر وعشرا . ومن أجمع هذه الاحاديث عندهم مارواه الستة عن حميد بن نافع قال أخبرتني زينب بنت أبي سلمة بهذه الاحاديث الثلاثة قالت دخلت على أم حبيبة زوج النبي (ص) حين توفي أبوسفيان بن حرب (والدها) فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة وخلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج أربعة أشهر وعشرا» قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت أما والله مالي بالطيب حاجة غير اني سمعت رسول الله (ص) يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر» الحديث أوذكرت نحوه. وقالت (الراوية) سمعت أمي أم سلمة تقول جاءت امرأة الى النبي (ص) فقالت ان بنتي توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها؟ فقال (ص) «لا» مرتين أو ثلاثا ثم قال «انما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول» قالت زينب كانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها حتى تمر عليها سنة ثم تؤتى بحيوان حمار أوشاة أوطير فتفتض به فقلما تفتض بشيء الامات، ثم تخرج فتعطى بعرة ثم ترمي بها ثم تراجع بعد ماشاءت من طيب أوغيره، قال مالك تفتض : تمسح به جلدها اه

ويظهر أن النبي (ص) علم من قرينة الحال ان الاكتحال الذي استئذن به يراد به الزينة لا التداوي فلم يأذن به وذكرهن بالفرق بين ما كن عليه في الجاهلية من الحداد وما صرن اليه في الاسلام ، وفي الموطأ أنه أذن بالاكتحال ليلا وغسله نهاراً. وحكمته أن الرجال يحتقرن المرأة المتوفى زوجها اذا تزينت في أثناء العدة لانه اعلام للرجال بطلبها للزواج ، وكان من عنايته (ص) بحفظ كرامة النساء ان أمر اصحابه اذا قدموا من سفر ان يبلغوا نساءهم خبر مجيئهم ليستعددن للقائهم بالنظافة والزينة

وكان ينهى ان يطرقوهن ليلا بدون اعلام لئلا يروهن على صفة منفرة من الشعاثة والتفل. وفي رواية كان ينهاهم أن يطرقوا النساء لئلا يتخونوهن ويطلبوا عثراتهن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آداب المرأة المسلمة وفضائلها

٥٤

عموم الاحكام وحكمة ماخص به النساء

ان الاصل العام في احكام العبادات والمعاملات في الاسلام من واجب ومندوب ومحرم ومكروه ، وفي آدابه من فضيلة ورذيلة ، أن تكون موجهة إلى المكلفين من الرجال والمكلفات من النساء على السواء ، وخص الشرع الرجال ببعض الاحكام ، والنساء ببعض الاحكام كما تقدم في المسائل الماضية

وعلة التخصيص وحكمته طبيعة كل من الزوجين الذكر والانثى ووظائفه المنوطة به التي يكون بها كل منهما متمما ومكملا للآخر في تناسل النوع وترقية شؤونه ، فيكون الرجل رجلا قائما بشؤون الرجال ، والمرأة مرأة قائمة بشؤون النساء بالتعاون الذي يشعر به كل منهما انهما يكونان حقيقة واحدة يعمل كل منهما لحفظها كالاعضاء من جسد كل منهما كما تقدم أيضا

ولذلك كان النبي (ص) ينهى عن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال و يلعن فاعله فقد قال « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء »(١) وقال « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » (٢) وقال « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل »(٣)

ومن الاحكام والآداب الخاصة بالنساء ما شرع لسد ذريعة الفساد ولحفظ شرف المرأة وكرامتها من تعدي سفهاء الرجال عليها ومحاولتهم إفسادها كدأب الفاسقين في كل زمان فقلما يوجد امرأة خبيثة في العالم إلا وقد كان المفسد لها رجل خبيث او امرأة أفسدها الرجال من قبل ، وصارت تتقرب اليهم بافساد أمثالها ، إلا الفساد الاكبر الذي اتخذ صناعة وتجارة يشترك فيها الخبيثون والخبيثات لاجل جمع المال لا لاجل الخبث نفسه

(١) رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي عن ابن عباس (٢) رواه البخاري في الادب المفرد وابو داود عنه أيضا (٣) رواه ابو داود والحاكم من حديث ابي هريرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٥

أمر النساء بالمبالغة بالستر وسببه

من هذا النوع من الآداب النسوية عنايتهن بالستر الدال على الحشمة والصيانة والمانع من الريبة والظنة، وقد تقدم ان ما أمر الله به من ضرب الحجاب على أزواج النبي الطاهرات هو من هذا القبيل ، ويرى القارىء بعد آية الحجاب من سورة الاحزاب أن الله تعالى ذكر المؤمنين بعلمه بما يبدون وما يخفون، وذكر الازواج الطاهرات برفع الجناح عنهن في محارمهن، وأمر بالصلاة والسلام على نبيه، وأنذر الذين يؤذون الله ورسوله لعنته لهم في الدنيا والآخرة وعذابه المهين، وحكم على الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات باحتمال البهتان والاثم المبين . ثم قال

(٥٩:٣٣ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)

علل الله تعالى هذا الامر بالستر بأن تعرف به المرأة المؤمنة انها مؤمنة حرة ، فيمتنع المنافقون والفساق من إيذائها ، فالعلة الخوف عليها من أشرار الرجال لا الخوف منها ـ فهي كعلة آية الحجاب ومن جنسها . وما زال الرجال يسيئون الظن بالمرأة التي تظهر محاسنها وزينتها ،وما زالوا يؤذونها وما زالوا يطمعون فيها ، وما زال أهل الدين والعفة يتجنبونها ، وناهيك بما يلقاه النساء المتبرجات في زماننا في مصرنا من ايذاء سفهاء الرجال

وسبب نزول هذه الآية ان المؤمنات الحرائر كن يلبسن كملابس الاماء الفواجر على عادات الجاهلية ، وأعمها الدرع (القميص) والخمار ، وكثيراً ما كانت المرأة تلقي القناع على رأسها وتسدله من وراء ظهرها فيكون جيب الدرع مفتوحا على نحرها وصدرها ، وكن يلبسن الجلابيب في بعض الاوقات دون بعض (والجلباب الملحفة والملاءة التي تلبس فوق الثياب كلها) فاذا خرجن ليلا الى الغيطان لقضاء الحاجة يلقين الجلابيب او يسدلنها وراء هن. فكان بعض الفتيان يعرض في الطريق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لمن يرونها غير مبالغة في الستر لحسبانها أمة، لان الامة هي التي كانت تتعمد إظهار محاسنها، وهي التي تبذل عرضها، فاتخذ هذه العادة بعض المنافقين ذريعة لايذاء المؤمنات حتى نساء النبي (ص) فاذا قيل له في ذلك عند العلم بفعلته قال كنت احسبها أمة. فأمر الله أزواجه وبناته وسائر نساء المؤمنين بأن يدنين عليهن فضل جلابيبهن فيسترن بها رؤسهن وصدورهن لكي يعرف انهن مؤمنات حرائر فلا يؤذيهن الفساق خطأ، ولا يكون للمنافق الخبيث أن يعتذر عن إيذائهن عمدا، وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية قوله تعالى

(٣٣ : ٦٠ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا)

والانذار فيها وفيما بعدها للمنافقين وضعفاء الايمان ومذيعي الاراجيف باغراء النبي (ص) بعقابهم وبنفيهم من مدينته ان لم ينتهوا عن جرائمهم مع عدم ذكرها يدل على العموم الذي يشمل تعرضهم لايذاء النساء، وتجد تفصيل موضوع الستر في آيات سورة النور وهي قوله تعالى

(٢٤ : ٣٠ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمر المؤمنات بما امر به المؤمنين من غض وحفظ ، وزاد عليه نهيهن عن إبداء زينتهن للرجال إلا ما ظهر منها لضرورة التعامل والقيام بالاعمال المشروعة من دينية ودنيوية وفسره العلماء المختلفو المذاهب بالوجه والكفين وبالملابس الظاهرة كالقناع والجلباب

فأما غض البصر فهو خفضه وعدم إرساله فيما تأمر به الشهوة البتة كأن يكون الانسان مطرقا رأسه لا ينظر رجل الى امرأة ولا امرأة الى رجل قط، وهذا مما يشق بل لا يستطاع ، ولذلك امر بالغض منه لا بغضه، ومن للتبعيض - وهو يحصل بعدم استدامة النظر الى العورات وما يحرم النظر اليه . وقاعدته : النظرة الاولى لك والثانية عليك. وأما حفظ الفرج فهو مطلق إلا ما استثناه الله تعالى بقوله (إلا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم) لان إرسال النظر بالشهوة مبدأ كل فتنة كما قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وقال: وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وأما ضرب النساء خمرهن على جيوبهن ، فالمراد أن يدرنها على جيوب قمصهن يسترن بها نحورهن وصدورهن ، لعدم الحاجة الى إبداء غير وجوههن في أعمالهن على مرأى من الرجال الاجانب، وكان النساء في الجاهلية يسدلن خمرهن من ورائهن ويوسعن جيوب قمصهن لينكشف ما في نحورهن وعلى صدورهن من العقود والقلائد يفتخرن بها

وأما من استثني الله تعالى مع محارم النساء من غير اولي الاربة من الرجال فهم الذين لاحاجة لهم في النساء كالشيخ الهرم وذي العلة الطبيعية، والاربة والارب الحاجة المهمة و يطلق على الشهوة ومنه حديث عائشة . ايكم يملك إربه كما كان رسول الله (ص) يملك إربه ؟ كان يقبل أهله وهو صائم. وعطف على هؤلاء الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لاتحاد العلة .والمراد بعدم ظهورهم على العورات عدم فطنتهم لها ورغبتهم في الاشراف عليها. وأما النهي عن ضرب النساء بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فهو ما كان يفعله بعض النساء في الجاهلية لتذكير السامع بما في أرجلهن من الخلاخيل افتخارا بها وتشويقا اليهن. وجمهور المفسرين والفقهاء على أن النهي للكراهة لا للتحريم إلا اذا كان يتبعه فعل محرم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٦

النهي عن خلوة المرأة بالرجل وسفرها بدون محرم

ومما ورد في سد ذرائع الفساد النهي عن خلوة المرأة بالرجل والسفر بدون صحبة زوجها أوذي محرم ومنه قول النبي (ص) « لا تسافر المرأة إلامع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم » متفق عليه من حديث ابن عباس (رض) بهذا اللفظ ومن حديث ابن عمر بلفظ « لا تسافر المرأة ثلاثة ايام إلا مع ذي محرم » وروى أبوداود والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا « لا تسافر المرأة بريداً إلا ومعها محرم يحرم عليها » البريد اربعة فراسخ وهي اثنا عشر ميلا ـ وهل المطلق يحمل على المقيد كما يقول بعض علماء الاصول أم الحكم يختلف باختلاف الاحوال والازمنة في الامن على النفس؟ ففي صحيح البخاري من حديث عدي بن حاتم أن النبي (ص) اخبره بما سيكون من اثر انتشار الاسلام وعدله وأمنه ان الظعينة سترتحل وحدها من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحداً إلا الله تعالى

ومن يعلم اخبار الاسفار في هذا العصر وما يكون دائما من تأثير اجتماع النساء والرجال في البواخر والفنادق الكبيرة فانه يفقه من حكمة هذا النهي ان السفر الطويل والقصير سواء في عدم خروج المرأة فيه مع غير ذي محرم. ولا يبيح لنا الادب أن نذكر في هذه الرسالة شيئا مما سمعناه في ذلك. وقد ذكر رجل للنبي (ص) حين نهى عن ذلك أن امرأته تريد الحج وهو يريد الجهاد فأمره ان يترك الجهاد و يسافر مع امرأته

وجملة القول ان سفر المرأة واجتماعها بالرجل الاجنبي في الخلوة وستر شعرها وما عدا الوجه والكفين عنه كله يدخل في سد ذرائع تعديه عليها و إفساده لها أو إغوائها إياه ومايحرم عليها منه يحرم عليه، وعقابها في الآخرة سواء، ولكن سوء عواقب هذا الفساد في الدنيا أشد على المرأة في صحتها وفي شرفها ومكانتها في المجتمع الانساني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٧

مسألة حجب نساء الامصار وتحرير القول فيها

كل ما استحدثه الناس في المدن والقرى الكبيرة من المبالغة في حجب النساء فهو من باب سد الذريعة، لا من اصول الشريعة، فقد أجمع المسلمون على شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوفات الوجوه والكفين ، وأجمعوا على إحرام النساء بالحج والعمرة كذلك ، نعم انهن كن يصلين الجماعة وراء الرجال ولكنهن كن يسافرن مع الرجال محرمات و يطفن بالبيت كذلك و يقفن في عرفات ويرمين الجمار على مشهد من الرجال في عهد النبي (ص) وخلفائه الراشدين . وكن يسافرن مع الرجال الى الجهاد ويخدمن الجرحى و يسقينهم الماء ومنهن نساء النبي (ص) كما تقدم وقد قاتل نساء المهاجرين مع الرجال في واقعة اليرموك. وكن يخدمن الضيوف، و يقاضين الرجال إلى الخلفاء والحكام

وكان النبي (ص) يأمر الرجل الذي يريد خطبة امرأة ان ينظر اليها ولو بدون علمها مع منع التجسس على النساء والتطلع الى عوراتهن . وقد اختلف العلماء فيما ينظره الخاطب فاتفقوا على الوجه والكفين . وقال الاوزاعي ينظر الى مواضع اللحم . وقال داود يجوز النظر الى جميع البدن . والمتبادر من الاذن بالنظر اليها « وان لم تعلم » أن يراها في حالها العادية في بيتها ، و يؤيده حديث جابر عند احمد وأبي داود قال سمعت النبي (ص) يقول « اذا خطب احدكم المرأة فقدر أن يرى منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » وروى عبد الرزاق وسعيد بن منصور أن عمر خطب الى علي بنته ام كلثوم — فذكر له صغرها — فقال أبعث بها اليك فان رضيت فهي امرأتك ، فأرسل بها اليه فكشف عن ساقها فقالت : لولا انك امير المؤمنين لصككت عينيك

وأجمع المسلمون على جواز شهادة المرأة للنص عليه في كتاب الله وأمره باستشهادهن ـ وعلى صحة بيعها وشرائها وسائر تصرفاتها فيما تملك ، وعلى تلقيها العلم عن الرجال وتلقيهم عنها على تفصيل في احكام فرض العين وفرض الكفاية والمندوب فيه . وراويات الحديث منهن كثيرات من نساء الصحابة والتابعين وخير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرون وقليلات بعد فيما بعدها ، وأسماؤهن مدونة في كتب التاريخ ونقد الرواة. وما كان يكون شيء من ذلك من وراء حجاب إلا ما كان من ازواج النبي (ص) بعد نزول آية الحجاب الخاصة بهن بالنص الصريح و بتعليل الحكم . وأخطأ من قال انه يجري فيها قاعدة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فان لفظها خاص لا عام . دع ما اجازه بعض الائمة من تزويج المرأة نفسها وغيرها وتوليها القضاء

ومن دلائل السنة على عدم وجوب ستر الوجه حديث المرأة الخثعمية ونظرها الى الفضل بن العباس ونظره اليها وهو مروي عن ابن عباس في الصحيحين والسنن وعن علي عند الترمذي وحاصله في جملة الروايات ان الفضل كان رديف رسول الله (ص) في حجة الوداع فعرضت للنبي (ص) امرأة من خثعم وضيئة الوجه تسأله هل تحج عن ابيها الذي ادركته الفريضة وهو ضعيف لا يثبت على الراحلة؟ فأفتاها بالجواز ـ وفيه ان الفضل جعل ينظر الى المرأة وتنظر اليه فجعل (ص) يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر . وفي بعض ألفاظه فلوى (ص) عنق الفضل فقال العباس يارسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ ـ وفي لفظ : وجأت عنق ابن عمك ـ فقال (ص) «رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما ـ وفي رواية ـ فلم آمن عليهما الفتنة»

وقد استنبط ابن القطان وغيره من هذا الحديث جواز النظر عند أمن الفتنة حيث لم يأمرها بتغطية وجهها . وقالوا لو لم يفهم العباس ان النظر جائز ما سأل ، ولو لم يكن ما فهمه صحيحا ما أقره عليه النبي (ص) وهذا بعد نزول آية الحجاب قطعا لانه في حجة الوداع سنة عشر والآية نزلت سنة خمس

والتحقيق أن النظر من كل من الرجل والمرأة الى ما عدا العورات مباح فان كان بشهوة كره تكراره ، كما قلنا في تفسير (يغضوا من ابصارهم) فان خيف منه فتنة تفضي الى الحرام اتجه القول بتحريمه لسد الذريعة لا لذاته كالخلوة والسفر عند من يقولون بثبوت التحريم بالدليل الظني وقال الامام يحيى ومن وافقه من فقهاء العترة انه جائز مع الشهوة ـ وشدد آخرون من الفقهاء فقالوا بتحريمه مطلقا (١) بل قال بعضهم بوجوب ستر المرأة لوجهها وجرى على ذلك اهل الحضارة في الامصار حتى

(١) هذا يوافق ما نقله متى عن المسيح (٧) قد سمعتم أنه قيل للقدماء (لا تزن) وأما أنا فأقول لكم ان كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه) وفي رواية (ومن زنى يكون مستوجب الحكم) أي الرجم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صار من التقاليد ان لا يرى رجل اجنبي امرأة بالغة ولا يكلمها ولو من وراء حجاب بل صاروا يكتمون اسماء النساء . وبلغنا أن بعض المتنطعين من طلبة العلم في طرابلس الشام امر امرأته بتغطية رأسها في داخل الدار حتى لا تراها الملائكة

وأما أهل البوادي الذين يعيشون بالقيام على الانعام وسكان الارياف من الفلاحين وهم أكثر المسلمين فلا يعرف نساؤهم هذا الغلو في الحجاب، ولا هذا التهتك والتبذل الفاشي في هذا الزمان ، وهم على ذلك اقل من أهل الامصار سقوطا في الفتنة »

ومن لطائف ما يروى في هذا الباب أنه عقد مؤتمر نسوي دولي في أوربة حضره من قبل الدولة الحميدية كامل بك الحمصي كاتب السلطان الخامس فسئل في المؤتمر عن حجاب النساء في الاسلام فقال ما خلاصته : ان هذه مكيدة من النساء ، رأين أن ذوات الجمال البارع منهن قليلات وان ظهورهن للرجال يفتنهم بهن ويقبح نساءهم في اعين اكثرهم، فتواطأن على الاحتجاب العام ليرضى كل رجل بامرأته . فضحك النساء في المؤتمر ، وكان لكلامه عندهن وقع حسن

واذا لم يكن ما قاله كامل بك واقعا فتعليله صحيح فالمحجوب محبوب بالطبع والمبذول مبتذل في العادة الغالبة ، ولما صار الهمج الذين كانوا يعيشون عراة يلبسون الثياب ، اشتد شوق رجالهم لنسائهم ورغبتهم فيهن . وتهتك النساء في هذا العصر هو الذي أحدث ما يسمونه أزمة الزواج في مصر ناوامثالها

وجملة القول ان اصل الشرع في آداب النساء والرجال معروف، وان سد ذرائع الفتنة والفساد مشروع ، وهو يختلف باختلاف الاعصار والامصار ، وانما الحرام ما ثبت بنص قطعي الرواية والدلالة ، وما دل على طلب تركه دليل ظني فهو مكروه، وكل رجل وامرأة اعلم بحال نفسه ونيته ، وحال قومه وبيئته

والقاعدة العامة في مثل هذا قوله (ص) «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه» رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث سلمان الفارسي (رض) وقوله (ص) «الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه (وفي رواية يواقعه) ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله في ارضه محارمه ، ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» رواه الشيخان واصحاب السنن عن النعمان بن بشير (رض)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(نصيحة المؤلف للرجال والنساء في مسألة الزواج)

انني منذ ثلث قرن ونيف أدرس مسألة النساء والحياة الزوجية وأناقش فيها أهل العلم والرأي، وأقرأ ماصنف فيها من الكتب، وأتتبع ماتنشره الصحف، وأتدبر أخبار الافرنج فيها، وكتبت فيها شيئا كثيراً أهمه تفسير آيات القرآن الحكيم في موضوعها، ومقالات الحياة الزوجية التي نشرت في مجلد المنار الثامن وآخرها هذه الرسالة. وناقشت الدعاة إلى المساواة بين النساء والرجال في الجامعة المصرية فحكمت لي الاكثرية الساحقة بالفلج وإصابة صميم الحق

واني أعتقد بعد هذا الدرس الطويل العريض العميق، وما اقترن به من الاختبار الدقيق، أن ما يراه الكثيرون من أهل الغرب والشرق من نوط السعادة الزوجية بتعارف الزوجين قبل الزواج وعشق كل منهما للآخر، هو رأي أفين، أثبت الاختبار بطلانه، وان تحاب الشبيبة لا ثبات له بعد الزواج غالباً، بل كانت العرب تقول: ان الزواج يفسد الحب.

وانما القاعدة الصحيحة لهناء الزوجية ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) لامرأة خاصمت زوجها اليه وصرحت له بانها لا تحبه، فقال لها: اذا كانت احداكن لا تحب الرجل منا فلا تخبره بذلك فان أقل البيوت ما بني على المحبة. وانما يتعاشر الناس بالحسب والاسلام. يعني أن التزام كل من الزوجين لحفظ شرف الاخر والعمل بما يرشد اليه الاسلام من الواجبات والآداب الزوجية هو الذي تنتظم به الحياة الزوجية ويعيش الناس به العيشة الهنية

وينبغي لكل من الزوجين أن يتكلف التحبب الى الآخر بأكثر مما يجده له في قلبه، فان التطبع يصير طبعا، ورحم الله علية بنت المهدي أخت هارون الرشيد حيث قالت:

* تحبب فان الحب داعية الحب * فانه في معنى قوله ﷺ «العلم بالتعلم والحلم بالتحلم»

هذه نصيحتنا نزفها الى الرجال والنساء في هذا العصر الذي يشكو فيه العقلاء إعراض الشبان عن الزواج، فمن وفقه الله تعالى للعمل بها منهم فسيرونها أعلى وأفضل نصيحة يستحق صاحبها منهم الدعاء والشكر، ومن الله عز وجل المثوبة والاجر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفيات الاعيان

محمد حافظ بك ابراهيم شاعر مصر الاجتماعي

في السابع عشر من شهر ربيع الاول توفي شاعر النيل الاجتماعي الكبير، وأديب مصر الشهير، محمد حافظ بك ابراهيم عن سن وافت الستين، فاهتز لموته عالم الادب العربي واضطرب، كما كان يهتز لشعره من حماس أو شجو أو طرب، ورثاه أشهر شعراء مصر، فشعراء العرب في الشرق والغرب، وأبنته الصحف فأطرته أي اطراء، ولا تزال تنشر القصائد في رثائه واطرائه إلى الآن، وقد توفي بعده أمير من أكبر أمراء بيت الملك في البلاد، فلم يتجاوز ذكر موته مصر، ولم يبلغ تأثير وفاته فيها معشار مابلغ تأثير موت حافظ من إكبار وحزن وتأبين ورثاء، على تفاوت ما بين مؤبني الرجلين من داعيتي الاخلاص والرياء، وأين بيت حافظ ابراهيم في أهل المسكنة والبؤس، من أعلى قصور الامارة والملك.

والعبرة في هذا أنه آية بينة على ارتقاء في الامة العربية في آدابها النفسية والاجتماعية، يبشرنا بقرب زوال العظمة الوهمية، عظمة الالقاب الموروثة والثروة المادية، وإعقاب العظمة الحقيقية لها، عظمة العلم والادب وخدمة الامة

لو لم يمت هذا الامير الكبير في هذه الايام التي هو في مقام هذه العبرة موت غني من أكبر أغنياء مصر فيها ممن كان يحسدهم [illegible] على ثروتهم، ويعاتب الاقدار على ماكان يشكو من بؤسه تجاه جدتهم، وهو المرحوم محمد بدراوي باشا عاشور صاحب العقار الكبير، والمزارع الواسعة التي تقدر بعشرات الالوف من الفدادين، ومئات الالوف من الجنيهات المودعة في المصارف المالية (البنوك) العديدة. مات بدراوي باشا أغنى فلاحي مصر وأحسنهم سيرة، فلم يهتز لموته عالم العلم والادب، ولا أكبرت نعيه المجلات والصحف، ولا رثاه الشعراء، ولا أبنه العلماء والادباء، فكان هذا دليلا آخر على ان الشعب المصري قد ارتقى شعوره المعنوي، ولكنه دون الدليل الذي قبله، وقد كان هذا الشعب أعرق الشعوب الشرقية في إكبار الامراء والحكام والخنوع لهم، ثم في تعظيم الاغنياء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والازدلاف اليهم . ولكن لا يزال المال هو المقصد والغاية لطلاب العلوم والفنون وقلما تتوجه عناية أحدمنهم لبلوغ الغاية من الادب والامامة فيه لذاتها

كان محمد حافظ يشكو البؤس وينظم نفسه في سمط البائسين ، وتلك شنشنة الادباء والشعراء في كل حين ، حتى كان من القضايا المسلمة ان حرفة الادب علة للبؤس والعيشة الضنك ، وما هي بعلة طبيعية ولا عقلية ، ولكن من أعطى كل عقله وفهمه للأدب او أي علم من العلوم لا يجد من استعداده النفسي ولا من وقته ما يصرفه في الكسب وتثمير المال الذي هو طريق الثروة الواسعة ، والشعراء أحرص من العلماء على نعمة الدنيا وزينتها وأكثر تمنياً لها ، لتزيين خيالهم لها في أنفسهم ، فمما يصبهم منها - وقلما يكون وافراً يرضي طمعهم وخيالهم - فانهم يستصغرونه ويشكون حظهم منه ، ألا ترى ان أحدهم قد ذم العيشة الوسطى بين بؤس الفقر وطغيان الغنى وشواغله وهي أفضل حالة في الرزق يمكن أن تكون للانسان بقوله :

مذبذب الرزق لافقر ولا جدة حظ لعمرك لم يحمق ولم يكس

وكان حافظ يتمثل بهذا البيت بعد ان نال راتباً شهريا من الحكومة يكفي لنفقة أسرة تعيش عيشة معتدلة ، وهو خفيف الحاذ لازوج له ولا ولد ، ذلك بأنه كان مسرفا في الترف ، مفنقاً في التنعم ، وقد أوتي من الحظ المعنوي بأدبه وشعره مالم يؤت أديب في مصر في عصره غير احمد شوقي بك اذ كان شاعر الامير فصار يدعى أمير الشعراء ، ولعله لو نشأ في حجر الترف ونعمة العيش كشوقي لما كان له من نفسه مايبعثه إلى النبوغ في الادب النافع ، فأكثر حكماء الأدباء وحكماء العلماء وأصحاب الافكار الاصلاحية الناضجة كانوا من أهل القشف والبؤس في بدايتهم إما اضطراراً وإما اختياراً كالذين سلكوا الرياضة الصوفية . ومن أمثال الصوفية : من لم تكن له بداية محرقة ، لاتكون له نهاية مشرقة

وقد أشار شيخنا الاستاذ الامام إلى هذا المعنى في بؤس حافظ فيما قرظ له به الجزء الاول من ترجمة كتاب البؤساء فقد قدمه اليه حافظ وتوجه باسمه بكتاب خاطبه به فرد عليه بجواب جعلهما حافظ في مقدمة الكتاب ، وانا ننشرهما هنا فانهما خير ماينشر في ترجمة صديقنا الاديب رحمه الله تعالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ خطاب حافظ للاستاذ الامام في رفع كتاب البؤساء اليه ﴾

إلى الاستاذ الامام

إنك موئل البائس ، ومرجع اليائس ، وهذا الكتاب — أيدك الله — قد ألم بعيش البائسين ، وحياة اليائسين . وضعه صاحبه تذكرة لولاة الأمور ، وسماه كتاب (البؤساء) وجعله بيتاً لهذه الكلمة الجامعة ، وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل) وقد عنيت بتعريبه ، لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب ، وتصرفت فيه بعض التصرف ، واختصرت بعض الاختصار . ورأيت أن أرفعه إلي مقامك الأسنى ، ورأيك الأعلى ، لأجمع في ذلك بين خلال ثلاث (أولها) التيمن باسمك والتشرف بالانتماء اليك (وثانيها) ارتياح النفس وسرور اليراع برفع ذلك الكتاب إلى الرجل الذي يعرف مهر الكلام ، ومقدار كدّ الأفهام (وثالثها) امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية باهداء ماوضعه حكيم المغرب إلى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى فتاه بقبوله والله المسئول أن يحفظه للدنيا والدين . وأن يساعدني على إتمام تعريبه للقارئين .. اه

قدم محمد حافظ هذا الكتاب إلى الاستاذ الامام ونحن جلوس معه في حديقة داره بعين شمس مساء يوم من الايام فأخذه منه بعد ان قرأه علينا وعليه ودخل الدار فمكث فيها قليلا ثم عاد الينا وقال : انني عصرت دماغي على مابه من جفاف الكلال فخرج منه هذه الكلمات : — وأعطى حافظ ورقة قرأ فيها :

تقريظ كتاب البؤساء للاستاذ الامام

لو كان بي أن أشكرك لظن بنا بالغت في تحسينه ، أو أحمدك لرأي لك فينا أبدعت في تزيينه ، لكان لقلمي مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك ، ويجري في الشكر إلى الغاية مما يطلبه فضلك ، لكنك لم تقف بعرفك عندنا ، بل عممت به من حولنا ، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زففت إلى أهل اللغة العربية ، عذراء من بنات الحكمة الغربية ، سحرت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قومها ، وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تنبه منهم خامداً ، وتهز فيهم جامداً ، بل لاتنفك تحيي من قلوبهم ماأماتته القسوة ، وتقوّم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة . حكمة أفاضها الله على رجل منهم ، فهدى إلى التقاطها رجلا منا . فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسج الاديب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بعد ماأصلح من خلقها ، وزان من معارفها ، (١) حتى ظهرت محببة إلى القلوب ، شيقة الى مؤانسة البصائر ، تهش للفهم ، وتبش للطف الذوق ، وتسابق الفكر إلى مواطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهي في النفس مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الاعجم مبلغك ، فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدأ الطريق ، ووصل منهم فريق الى مايحب من مقصده ولكنه لم يعن بأن يعيد الى اللغة العربية مافقدت من أساليبها ، ويرد اليها ماسلبه المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه ، أما أنت فقد وفيت من ذلك مالا غاية لمزيد بعده ، ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده . ولو كنت ممن يقول بالتناسخ لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيبات الارواح ، فظهرت لك اليوم في صورة أبدع ، ومعنى أنفع ، ولعلك قد سننت بطريقتك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله من ظهور كتابك ، ويحملها الزمان إلى أبناء مايستقبل منه ، فتكون قدأحسنت إلى الابناء ، كما أجملت الصنع مع الآباء ، وحكمت للغة العربية أن لايدخلها بعد من معجمة سوى ماهو في الاسماء ، أسماء الاماكن والاشخاص ، لا أسماء المعاني والاجناس ، ومثلي من يعرف قدر الاحسان اذا عم ، ويعلي مكان المعروف اذا شمل ، ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي :

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً
فلا هطلت علي ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا

فما أعجز قلمي عن الشكر لك ، وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللفاء (٢)

(١) المعارف من وجه الانسان مايعرف به ويمتاز من غيره كالعينين والملاغم
(٢) اللفاء بالفتح القليل الذي هو دون الحق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقول : إن الذي وصل سببك بسبب صاحب الكتاب ، ووقف بك على دقائق من معانيه اشتراكك معه في البؤس ، ونزولك منزلته من سوء الحال ، وربما كان فيما تقول شيء من الحقيقة ، فان كان البؤس قد هبط على صاحبه بتلك الحكمة ، ثم كان سبباً في امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة ، سألت الله أن يزيد وفرك من هذا البؤس حتى يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ ، وأن يجعلك في بؤسك أغنى من أهل الثراء في نعيمهم ، والسلام ؟ محمد عبده

هذا وان مدح حافظ الاستاذ الامام واتصاله به هو الذي فجر ينابيع الحكمة في شعره ، وكان أكبر أسباب شهرته به ، بما جعل أكثر شعره في الشؤون الاجتماعية والسياسية ، والأفكار الادبية النافعة ، كما كان سبب انتفاعه المادي بأدبه وشعره ، فالامام هو الذي وصله بصديقه احمد حشمت باشا عاشق العربية وآدابها ووصاه بمساعدته إذ كان مديراً لأسيوط ثم للدقهلية ، وحشمت باشا رحمه الله هو الذي تبرع له بطبع الجزء الاول من ديوانه والجزء الاول من كتاب البؤساء ووزع له هو وغيره من أصدقاء الامام ألوفا من نسخهما ، ثم لما صار وزيراً للمعارف جعل له وظيفة كتابية في دار الكتب المصرية العامة ، ومنح بسعيه الرتبة الثانية ، فعاش بعد ذلك عيشة راضية ، وان ظل يتمثل بالبيت الذي يصفها بالذبذبة

كان حافظ يتمنى لو يكون غنياً بغير أدنى عمل يعمله للغنى ، فهو لم يكن يقدر على احتمال أدنى تعب أو مشقة في عمل ما ، وانما كانت فلسفته في الحياة أن يكون ناعم البال ، طيب الطعام والشراب ، دائب الفكاهة والدعابة مع الاصدقاء ، ولولا أنه كان يعشق الادب عشقا لما قرأ فيه كتابا ، ولما نظم بيتاً ولا نمق خطابا ، وقلما كان أحد من الاغنياء ممتعاً بنعمة العيش مثله ، ولو أوتي من الرزق أضعاف ما أوتي لأنفقه كله في سبيل الرفاهة وبلهنية العيش ، وكان يحفظ من النكات والملح والنوادر والتنادر مالا حد له ينتهي اليه ، على ما يحفظه من روائع الشعر وبدائع النثر ، مما لو جمعه في الدفاتر لكان له منه ثروة واسعة

وقد أوتي من قوة الحفظ وسرعة الاستحضار المحفوظ وبطء النسيان أو عدمه ما يذكرنا برواة اللغة وحفاظ الحديث ، فلو أنه عني بالحفظ والرواية لأعاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لعصر عهد الحافظ احمد بن حجر العسقلاني (رح) وكان يحفظ كل ماينظم وينثر ويترجم (ككتاب البؤساء) وما أراه حفظ من كتاب الاقتصاد السياسي الذي ترجمه هو وزميله خليل بك مطران شيئا إلا أن يكون بعض المفردات أو الجمل التي اهتدى هو الى تعبير عربي عنها غير معروف ، ولو كان له رغبة لذة في حفظه لما شق عليه حفظه على كبره وإن كان فناً لا أدبا

وكان حافظ قوي الاستقلال العقلي والوجداني لا يقبل ولا يسلم مالا يعقله ويرتاح له وجدانه ، لهذا كان ينكر في نفسه أموراً كثيرة من عقائد الدين فكان مما استفاده من معاشرة الاستاذ ولا سيما صحبته في سفره إلى الدقهلية لتوزيع الاعانات على منكوبي حريق ميت غمر أن استل (الامام) من قرارة نفسه تلك الشكوك والريب وهو ماحدثنا به بعد عودتهما . قال ولم يقنع مني بالايمان إلا وحاول حملي على الصلاة حتى صلاة الفجر في الغلس فكنا نسهر في دار أحمد حشمت باشا في المنصورة أكثر الليل وننام في حجرتين متجاورتين فأستيقظ بسماع حركته في آخر الليل وقيامه للتهجد . وبعد طلوع الفجر يطرق على باب حجرتي ويقول : * ياراقد الليل الى كم تنام ؟ *

قم للصلاة ، فقلت له بصفة المازح يامولاي انني لا أستطيع حمل الدين كله علمه وعباداته في سفرة واحدة ، كنت ملحداً فآمنت وصدقت بجميع عقائد الاسلام في هذه المرة ، ولك علي في سفرة أخرى أن أحافظ على جميع الصلوات . وقد ذكرت حافظا في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ١٢ مرة أو أكثر

وأما شعره فقد كتب الكاتبون في الصحف شيئاً في وصفه ، وما كان يزينه من حسن انشاده ، وحسبي أن أشير الى ما كنت كتبته في تقريظ ديوانه الاول عند طبعه وهو انه أصح منظوم هذا العصر لغة في مفرداته المختارة وجمله الفصيحة وجمعه بين السلاسة والمتانة ، فهو يفضل شعر احمد شوقي بك في هذا دون جمال التخيل وقوة التأثير الذي هو روح الشعر فبهذا يبز شوقي جميع شعراء العصر على تفاوت في شعره وتعقيد معنوي في بعض أبياته تحول دون فهمها فهما صحيحا من أول وهلة . فمحمد حافظ ابراهيم من الادباء الذين يخلد اسمهم التاريخ رحمه الله تعالى وأحسن مثواه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتنة الحجاز والقضاء على فئة ابن رفادة

سافر ابن رفادة ومن معه من مصر إلى الحجاز من طريق سينا بجوازات مصرية إلى العقبة ولقوا في كل مكان غاية المساعدة فدخلوا أرض الحجاز وتبعهم أعوانهم الذين سافروا من شرق الاردن إلى العقبة يحملون بعض الدراهم والاسلحة على مسمع ومرأى ممن ثم من رجال الانكليز في هذه الامكنة كلها مع إغضاء وتصامم بحيث لا تقوم عليهم حجة بأنهم أغروا أو ساعدوا أو وافقوا على شيء، بل كانت الدولة الانكليزية هي التي بلغت الحكومة السعودية أنباءهم ، وحملت الامير عبد الله على عزل محمد افندي الاسد قائمقام العقبة لاذنه لهم بل مساعدته لهم على الدخول في أرض الحجاز، ثم طفق رجال الهيئة العسكرية من الانكليز يحصنون العقبة ويجمعون فيها الاسلحة والذخائر الحربية والمؤنة بحجة مساعدة الحكومة السعودية على الثائرين عليها بمنع وصول المدد والذخيرة إلى فئة ابن رفادة من البر والبحر ، ومنع فارتهم من الالتجاء إلى العقبة وشرق الاردن إذا طاردهم الجيش السعودي، وما كان هذا المنع ليحتاج إلى كل هذا التحصين والاستمداد الحربي، على أنه ظل مستمرا بعد استئصال هؤلاء الثائرين إلى أن انجلت الجنود السعودية التي رابطت أمام العقبة حامدة شاكرة للقائد الانكليزي المرابط أمامها في حدودها المقتطعة من الحجاز !!!

وأما الحكومة السعودية فقد استدرجت ابن رفادة الاعور محضاء الثورة بارسال رجال من قبائل الحجاز اليه يعدونه بالقيام معه وتعميم الثورة في الحجاز اذا كان لديه المال الكافي لذلك فأخبرهم بان المال سيأتي من شرق الاردن، حتى إذا اطمأن أحاطت به وبفئته الجنود النجدية فقضت عليهم في معركة واحدة طاحت فيها رءوس ابن رفادة وأولاده ورأس أبي دقيقة أكبر أعوانه وألقيت رأس ابن رفادة الاعور الى الاولاد والرجال يدحرجونها ويدحونها ككرة الصبيان

طير البرق نبأ القضاء على ابن رفادة إلى مصر وأوربة وسائر الاقطار من الطريق الرسمية وطريق الشركات العامة فكذبته جمعية الثورة في عمان وزورت بامضاء ابن رفادة بلاغا أرسلته إلى صحف فلسطين ومصر والشام ينبيء بانتصاره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفوزه وامتداد الثورة في البدو والحضر ، وأرسلت اليها مقالات أخرى ورسلا يبثون الدعاية ، فكذب ذلك كله الاكثرون ، وارتاب فيه الاقلون ، حتى ظهر الحق واستيقنه الناس أجمعون

استفاد الناس من هذه الفتنة أربع فوائد عظيمة الشأن

(الفائدة الاولى) أن سلطان الحكومة السعودية ثابت البواني راسخ الاركان في بدو الحجاز ونجد مما كحضرهما فان شيوخ قبائل الحجاز ورؤساءها استاذنوا جلالة ملكهم في قتال ابن رفادة وهو منهم ولم يكن أحد يظن هذا لامن الانكليز ولا من غيرهم . وأما أهل نجد فقد ثارت ثائرتهم كلهم ، فاسرع من استنفرهم الملك إلى الحجاز وحدود شرق الاردن والعقبة وطفق سائر أهل البلاد يستأذنونه في النفير العام والهجوم على شرق الاردن للقضاء على حكومتها وكتب اليه في ذلك علماؤهم وأميرهم سعود ولي عهد الامام فيهم

(الفائدة الثانية) تنبه الامة العربية في سورية وفلسطين وشرق الاردن لوجوب الانتصار للدولة العربية المستقلة المعترف باستقلالها المطلق من جميع الدول الكبرى ومايتهددها من الخطر بوجود الانكليز في خليج العقبة الحجازي وشرق الاردن ، وقد أظهرت شعورها هذا في الجرائد وعلى ألسنة الاحزاب والزعماء حتى إن اهل شرق الاردن أظهروا المقت للجمعية المحركة للفتنة عندهم ولأميرهم أيضاً

(الفائدة الثالثة) تنبه الشعور الاسلامي العام في الشرق والغرب للخطر على الحجاز باستيلاء الانكليز على خليج العقبة ومنطقته وسكة الحديد الحجازية وقد ظهر هذا الشعور كالشمس فيما نشرته جرائد مصر وفلسطين وسورية وتونس والجزائر والهند في المسألة وعجب الناس لسكوت مشيخة الازهر عن اظهار صوتها في هذه النازلة الاسلامية التي تنذر المسلمين أكبر خطر على الحرمين الشريفين ولم نبين لهم مانعلم من سبب هذا

(الفائدة الرابعة) وهي نتيجة ما قبلها من الفوائد الثلاث : إحجام الدولة البريطانية عما كانت تريده من اقتراص هذه الفتنة لاحداث احتلال عسكري بري بحري في خليج العقبة تسميه موقتاً وتعلله بمثل ماعللت به احتلال مصر ، واحتلال اسكندر آباد في الهند ، وقد رضيت بسبب ماتقدم وخشية تفاقم الخطر أن تبقي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منطقة العقبة ومعان تابعة لشرق الاردن في ادارتها الى أن يبت في أمرها بمفاوضة أخرى مع الحكومة السعودية

ولقد سر المسلمون كافة والعرب خاصة بتنكيل الحكومة السعودية بهذه الفئة الباغية وشمتوا بتثبيرها وهنؤا صاحب الجلالة السعودية بهذا الفوز المبين ، وما كان فوزه على هذه الفئة القليلة بكبير في نفسه ، وإنما كانوا يخشون أن تكون سببا لاشتعال نار الثورة في الحجاز كله ، وأكبر ما كانوا يخشونه أن تكون عاقبتها استقرار أقدام الانكليز في خليج العقبة ومنطقتها الى معان ، واكبر ما كانوا يرجونه أن يتخذها الملك وسيلة لاستعادة هذه المنطقة إلى الحجاز ومنع الخطر الدائم على الحرمين الشريفين ببقائها تحت سيطرة الانكليز

ولقد كانت الفرصة سانحة له بارحة للانكليز والاسباب المرجحة لفوزه كثيرة ولكن رجال حكومته لم يكونوا يعرفونها ، وكانت الاراجيف التي أذاعتها المصادر الانكليزية مما ترجف لها الافئدة ولا سيما أرجوفة مساعدة مصر لابن رفادة ، فكان يخيل لقراء الجرائد في الحجاز ان حكومتهم مستهدفة لمحاربة بريطانية العظمى ومصر وشرق الاردن في وقت واحد ، وكل هذه أوهام ، وأضغاث أحلام

من المعلوم باليقين انه لم يكن يجوز للدولة السعودية أن تبدأ حكومة شرق الاردن الضعيفة بالحرب ، فضلا عن الدولة البريطانية التي هي من أقوى دول الارض ، وانما الذي كان يجب عليها هو أن تنبئ الدولة الانكليزية بأن شعبها الحجازي والنجدي يطالبونها بما هو حق عليها من استعادة هذه المنطقة الحجازية التي ألحقت بشرق الاردن بغير حق شرعي ولا قانوني ، وانهم مضطربون ثائرون لما جاءهم بطريق العقبة من طلائع ثورة ابن رفادة . وان العالم الاسلامي كله يطالبها بذلك — فهي لهذه الاسباب مضطرة لاحتلال هذه المنطقة الحجازية مع المحافظة على العلاقة السياسية الودية معها ، وتأمين حكومات شرق الاردن وفلسطين ومصر من أدنى اعتداء على حدود بلادها ، وتتبع القول الفعل . وقد كتبت مقالا طويلا أثبت فيه ان الدولة الانكليزية ما كان يعقل أن تحارب حكومة الحجاز ولكنني علمت قبل نشره بجلاء الجيش السعودي عن الحدود وبقاء ما كان على ما كان فأمسكت عن نشرها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

هذه الجمعية أقدم الجمعيات الاسلامية التي أنشئت للوعظ والارشاد في مصر، فانني لما هاجرت إلى مصر في منتصف سنة ١٣١٥ لم أجد فيها غيرها، واتفق أن كانت هي الجمعية الاولى التي تعودت إلقاء الخطابة الارتجالية على منبرها، فوجئت بذلك أول مرة مفاجأة إذ حضرت أحد اجتماعاتها متفرجا فكان من الخطباء فيه اسماعيل بك عاصم المحامي المشهور (رحمه الله تعالى) فرآني بين الناس وكان قد عرفني، فلما فرغ من خطبته دعاني مشيداً بذكري، مطرياً لأدبي، وكان هذا غريباً منه وهو لا يعلم من أمر استعدادي للخطابة شيئاً، ولكنني أعتقد أنه كان مخلصاً في طلبه لا مورطا، إذ قابلني بالمودة منذ عرفته وثبت عليها طول عمره واشترك في المنار منذ سنته الاولى وكان ممن يدفعون قيمة الاشتراك في أول السنة، ولما تم للمنار عشرة أعوام أقام له حفلة أدبية كانت هي الاولى من جنسها دعا اليها جميع أصحاب المجلات العربية بمصر ووزير المعارف وبعض رجال العلم والادب إلى مأدبة حافلة ألقيت فيها الخطب البليغة في الثناء على المنار ومنشئه، فرحمه الله وجزاه أحسن الجزاء

وأقول بعد هذا الاستطراد الذي أراه من حقه علي: انني أجبت دعوته وصعدت المنبر على غير استعداد ولا سبق حضور موقف من هذه المواقف غير المعتادة في بلدنا (طرابلس الشام) في العصر الحميدي، وألقيت ما فتح الله به علي في موضوع مناسب للمقام، صفق له الحاضرون مراراً وهنئوني به، وما أظن انني أجدت الالقاء ولكنني أعتقد انني قلت حقا نافعاً بعبارة عربية صحيحة لا خطابية، ثم كان المرحوم الاستاذ الشيخ زكي الدين سند خطيب الجمعية المؤسس لها يدعوني إلى الخطابة في كل اجتماع يراني فيه بعد ان يستشيرني فأقبل، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام فكنت خطيبها الاول

ثم إن جمعية مكارم الاخلاق ضعفت بعد وفاة المرحوم الشيخ زكي الدين سنده ثم عني بانعاشها ومساعدة مجلتها محمد سعيد باشا الاسكندري في عهد وزارته وخليل باشا حمادة البيروتي الذي تولى امانة الجمارك في الاسكندرية فادارة الاوقاف العامة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمصر فصار يطبع من مجلتها ألوف كثيرة من النسخ ثم عاودها الضعف والذبول، حتى كادت تزول، فتداركها الله باللطف ونهضت نهضة جديدة بهمة أصحاب النجدة والغيرة رئيسها ووكيلها ومراقبها

اتخذوا لها أولا مكانا مشهوراً في القاهرة هو القاعة الاثرية المشهورة بدار السادات الوفائيه المسماة بام الافراح، يتبعها حجرة للادارة وباحة واسعة من وراء الدار، فكانت الخطب والمحاضرات تلقى في القاعة مدة فصل الشتاء وزمن البرد، ثم تلقى في الباحة سائر أيام السنة، وموعدها بعد صلاة المغرب من يوم الجمعة، وكان أكثر من يحضرها طلبة الجامع الازهر، وقد دعيت الى إلقاء محاضرات كثيرة فيها كانت الادارة تعلن خبرها في الجرائد اليومية فيحضرها خلق كثير من جميع الطبقات، ولا أزال أدعى فأجيب، بعد نقل الجمعية الى مكانها الجديد

نقلت الجمعية إلى حي شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيه إذ كثرت جمعياتهم وتعددهم فيها لاغواء عوام المسلمين فاتخذت لها داراً فسيحة ذات حجرات كثيرة وباحة واسعة وأنشأت في الدار مدرسة ابتدائية تعلم فيها أطفال المسلمين بأجرة زهيدة مع تربية عملية مفيدة

وقد أنشيء لمجلتها (مكارم الاخلاق الاسلامية) مطبعة خاصة بها وأنشيء لها مجلة أخرى باسم (المصلح) فالمجلة الاولى في السنة الثامنة من حياتها الجديدة وهي تصدر في منتصف كل شهر عربي في أربع كراسات بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ١٥ قرشا في السنة لطلاب المعاهد والمدارس و٢٥ قرشا لسائر الناس. وأما صحيفة المصلح فتصدر في كل شهر أو شهرين في كراستين أو ثلاث بقطع أكبر وقيمة الاشتراك فيها في القطر المصري خمسة قروش وأجرة البريد وفي خارج القطر ١٠ قروش. ويرى القاريء لها في كل منهما فوائد كثيرة من تفسير السور الصغيرة التي تقرأ في الصلاة وشرح بعض الاحاديث الصحيحة وبيان السنن النبوية المتروكة لاحيائها، والبدع الفاشية مع النهي والتنفير عنها، والمسائل الفقهية والادبية والتاريخية والمواعظ وغير ذلك ونرى جل ما في الصحيفتين بقلم وكيل الجمعية الاستاذ العالم الكاتب الخطيب الشيخ محمود محمود الاستاذ في مدارس الحكومة العليا، حمد الله سعيه وأدام توفيقه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(نداء جمعية الهداية الاسلامية في دمشق)

(أرسلت الينا هذه الجمعية كتابا ذكرت فيه انها أرسلت كتبا الى ملوك المسلمين وامرائهم وصحفهم وأغنيائهم لاعانة الحرمين الشريفين ومعه صورة ما أرسلته الى ملكنا المعظم وهذا نصه) :

(خطابها الى جلالة ملك مصر المعظم)

لصاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم أعز الله به الاسلام والمسلمين

لقد استفاض الخبر ، وصح النقل باشتداد الضائقة على إخواننا أهل الحرمين الشريفين وتضاعف العسر عليهم ، فقد أخبر المطلعون بانهم أصبحوا بحالة تدمي القلوب وتفتت الاكباد . وذلك لتقاعس الناس عن أداء فريضة الحج وتلكؤهم عن زيارة تلك الاماكن المقدسة

ان الازمة في البلاد الحجازية قد اتسع نطاقها ، وتفاقم خطبها ، فشمل الكبير والصغير ، وعم أكثر السكان والمجاورين ، في هذين البلدين الشريفين وهي اليوم آخذة بالازدياد والعياذ بالله تعالى

لم يختلف أحد من الناس في استتباب الامن في بلاد الحجاز كلها حتى أصغر بقعة فيها — فلو فرض أن شخصاً نثر هناك آلاف الدنانير الذهبية على رءوس الناس في الطريق العامة لما تجاسر أحد على مس دينار واحد منها ، على حين ان هؤلاء الذين نثر الذهب على رءوسهم فزهدوا فيه يتسابقون إلى التقاط ما يلقي في الارض من قشر البرتقال والبطيخ تقليلا لسورة جوعتهم ، وشدة ألمهم

إلى هذا الحد وصل أولئك الاخوان المجاورون والقاطنون في تلك البلاد الشريفة ، ولاشك أن هذا الحال أدى وسيؤدي إلى موت الكثيرين منهم بلا سابقة جناية ولا تقدم ذنب أو جريمة

ان هؤلاء الضعفاء المساكين الذين أعوزتهم الحاجة وبلغ بهم الفقر مبلغاً جماهم يذكرون أيام الحرب العامة بمزيد المدح والثناء — يموت الكثيرون منهم على قارعة الطريق في أشرف بلاد الله ، يموتون وبطونهم جائعة ، وأجسامهم عارية ، وعيونهم شاخصة تتطلع الى السماء شاكية ما حل بها من قسوة أخيها الانسان وجوره وعتوه وظلمه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرحمة باولئك البؤساء الذين ذهب الفقر بأرواحهم ، وأحاطت الحاجة باولادهم وبناتهم ونسائهم ، وقياما بالواجب الديني والانساني — اجتمع أعضاء (جمعية الهداية الاسلامية) بدمشق ، وبعد المذاكرة وتتبع الموضوع من عامة أطرافه رأوا أن يستصرخوا غيرتكم وحميتكم باسم كونكم أعظم ملوك الاسلام والمرجع الاعلى لمختلف شؤونه لتعملوا على مساعدة هؤلاء البائسين ، وتمدوا يد المعونة اليهم بارسال ما تراكم لهم في خزانة الاوقاف من مال الحرمين الشريفين ، وبذلك تحيون أنفساً قضي على حياتها الفقر ، وأجساما أضر بها الجوع والعري ، وذلك كما لايخفى من أفضل الاعمال ، وأشرف الخلال . ففي حديث أنس رضي الله عنه عند الديلمي مرفوعا « ماعمل أفضل من اشباع كبد جائعة » . ومن حديثه أيضاً عند ابي يعلى يرفعه إلى النبي ﷺ « من اهتم بجوعة أخيه المسلم فأطعمه حتى يشبع ، وسقاه حتى يروى غفر الله له » . على ان في هذا العمل أيضاً براءة للذمة مما هي مطوقة به من وجوب العمل بنص الواقف الذي هو كنص الشارع ، وليت شعري هل يرضى الواقف للحرمين الشريفين بصرف ثمرة أوقافه على غير قطان تلك البلاد الشريفة ، وخصوصاً عند حاجتهم ، وتحقق ضرورتهم .

ان اختزان أموال الحرمين أو صرفها لغير أهلها في أيام اليسر جريمة يجب أن تتنزه عنها الحكومات الاسلامية ، فكيف والوقت عسر ، والمستحقون لهذه الأموال في أشد درجات الضيق ، وأقصى أحوال الجهد والعناء .

قال أهل العلم : من منع المال مستحقيه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، وعدّ غاصبا للمال ، وظالما من جملة الظالمين ، ومن صرفه حيث أمر الله عد من الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، وكان خير أمين فيما أسند اليه .

ولما كنتم أدام الله عز المسلمين بكم ممن لهم السابقة في خدمة الدين ، والاهتمام بأمور المسلمين ، تحدبون عليهم حدب الوالد على ولده والراعي على رعيته خصوصاً أهل الحرمين الشريفين — أتينا بكتابنا هذا مرفوعا لسدة جلالتكم راجين أن تكونوا لاهل حرم الله تعالى وحرم رسوله المعظم عند حسن ظننا بكم ، لازلتم موئلا للبائسين ، وعضداً متينا لعموم المسلمين سيدي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ افتراء مجلة مشيخة الأزهر علينا وهجوها ومجرها فينا ﴾

قد رأى قراء المنار ما أفتينا به في الجزء الرابع في بدعة زيادة بعض المؤذنين في آخر الأذان وهو أنها بدعة في شعار ديني محض تدخل في عموم قول النبي ﷺ « إياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ولكن مجلة مشيخة الازهر أفتت بأنها بدعة حسنة . ولما رآه مفتيها بهذه البدعة كفتاويه بما هو أضل منها من البدع انقطع في بيته وعكف مع بعض أعوانه على مجلدات المنار يبحث فيها عن أمور يتخذها مطاعن على صاحب المنار وجمع ما وجده قابلا للتحريف والشبهة مما صادفه فيها في مقال طويل بدأه بالاحتجاج لبدعة الاذان بطريقته الازهرية في المراء وجدل الالفاظ وايراد الاحتمالات

وقفى على ذلك ببهائث بهت بها صاحب المنار وافترى عليه بأنه كذب الله ورسوله وخطأهما وخالف الاجماع وردالاحاديث الصحيحة اتباعا لهواه وانه ليس لكتاب الله وسنة رسوله عليه سلطان وأنه أنكر وجود الملائكة بتقريره أنهم عبارة عن القوى الطبيعية وأنكر وجود الجن وزعم ان الجن عبارة عن الميكروبات وانه يتأول القرآن بما ينافي اللغة والدين والعقل تقربا إلى الماديين لا لشبهة علمية وانه ليس عنده أدنى استعداد للعلم والفهم ، ولا للمنطق والعقل ، ولا للأدب والذوق ، وأنه من دون ذلك كله أفتى تلاميذ المدارس النصرانية من المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنائسهم لاجل تنشئتهم على دين النصرانية عقيدة ووجداناً ، يعني مفتري هذا البهتان ان صاحب المنار لاغرض له من إنشاء مناره ولا من تفسيره لكتاب الله تعالى إلا هدم دين الاسلام وتحويل المسلمين عنه إما الى النصرانية وإما الى المادية ، وان ما اشتهر به في العالم الاسلامي بل في العالم كله حتى مستشرقي الافرنج ووزارات أوربة الخارجية والاستعمارية المشتركة فيه من انه داعية الاسلام والمحامي عنه في هذا العصر ، والذي استطاع أن ينزهه عن البدع والخرافات ويوفق بينه وبين أعلى ما وصل اليه البشر من الارتقاء في العلم والعمران — فهو اشتهار بالباطل ، لان هذا المحرر في مجلة الازهر وهو من هيئة كبار علمائه الرسمية قد علم من حقيقة هذا الرجل وفهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من مجلته وتفسيره مالم يعلمه ولم يفهمه أحد. كلا انه ظن أنه يقدر على هدم منار الاسلام بمقالة أو مقالات في مجلة مشيخة الازهر انتقاما لنفسه ولها، وما هو بهادم الا لنفسه ولها، فقد كانت بما يسخمها به من تأييد البدع والخرافات ثم بهذه الشتائم والمفتريات فضيحة للازهر الذي يريد الاعتزاز باسمه وبمشيخته الرسمية !!

ظهر مقاله في الجزء الذي صدر في غرة جمادي الاولى وكان هذا الجزء من المنار قد حرر ليصدر في سلخ ربيع الآخر وطبع اكثره فأخرته ليصدر في سلخ جمادى الاولى فأرى في أثناء الشهر مايكون من أمر هذا الحدث الجديد في مشيخة الازهر

أما كاتب المقال فقد سبق له مثل هذا التصدي للتعدي منذ ١٦ سنة فلم أكترث له، ولا رأيته أهلا للرد عليه، فهو غير كفؤ للمبارزة بعلم ولا أدب ولا بصدق في القول ولا أمانة في النقل ولا اخلاص في النية. وأما مشيخة الازهر فهي كفؤ لمنازلة المنار، بغير هذا الفارس العاجز المغوار ولا يشعر صاحبه بأقل ضعف عن هذه المنازلة في حدود العلم والدين وآدابه، ولكنه في منتهى الضعف والعجز عن كتابة جملة واحدة من أمثال هذا المقال الذي افتتحت الحرب به، وله إذا ولاها الدبر، أسوة بجده علي أمير المؤمنين حين تولى عن عمرو، على انه رأى وجوب التروي في النضال العلمي حتى يعلم تعمد المشيخة له

بدأت بكتابة مقال في الدفاع عن حقي وحق القراء الذين اطلعوا على الطعن علي في تلك المجلة ليعلموا ماعندي من الدلائل على تفنيد الافتراء عليّ، والقول الحق في التهم التي نسبت إلي، وأرسلت المقال إلى رئيس تحرير المجلة، ولزيادة التحري سألت صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية عن هذا الحدث الجديد لتقفي بعلمه وصدقه وإخلاصه على قلة الجامعين لهذه الفضائل الثلاث. سألته بالمسرة (التلفون) هل رأيت الجزء الجديد من مجلة المشيخة ؟ قال لا، قلت انظره فان فيه كيت وذيت ثم علمت انه قرأ المقال فتغظمه، ففزع به إلى شيخ الازهر فأفزعه، بموافقته إياه على استنكاره، ووجوب تلافيه بالسعي إلى الصلح بين الطاعن والمطعون، والاتفاق بين الغابن والمغبون، فبادر المفتي إلى هذا السعي الحميد الموافق لطبعه، وكاشفني بذلك بالمراسلة فالمكالمة بالمسرة فزيارتي للمشافهة بذلك في دار المنار، وأكد لي خبر استياء الاستاذ الأكبر كاستياءه مما حصل ورغبته في الصلح، واعطائي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الحق في الدفاع عن نفسي في مجلة نور الاسلام على الوجه الذي ارتضيته لنفسي من نفسي وهو اجتناب الطعن الشخصي في كاتب المقال بمثل طعنه علي ولا بما هو دونه، وذلك بان أذكر التهم التي اتهمني بها وأرد عليها ، واقترح أيضا أن أنقح مقدمة المقالة التي أرسلتها إلى المجلة فوعدته بذلك ، وقال انه هو والاستاذ الأكبر يكفلان إرضاء الطاعن بالصلح، وحمله على كتابة شيء يرضيني . قلت ان ذلك خير له ولمشيخة الازهر ومجلتها، وهو لا يهمني

أرسلت مقالة الرد إلى رئيس تحرير المجلة المذكورة في ١٤ جمادي الاولى وتلاه السعي إلى الصلح إلى أن دخل الشهر الذي بعده وقد صدرت في غرته المجلة وفيها مقالة أخرى في الطعن على صاحب المنار ، وقد كثرت في هذا الشهر مكاتبة الناس إياي بوجوب الرد على هذه المجلة وجاءتني مكتوبات في ذلك من مصر ومن الحجاز بعضها في الرد وبعضها في انتظار الرد مني ، وأنشأ بعض العلماء يردون عليها في الجرائد، وأنا لا أزال أنتظر ثمرة سعي الاستاذ المفتي إذ وعدته بالامساك عن النشر فيها إلى أن تظهر لي النتيجة لهذه المقدمات ، وقد تأخر اصدار هذا الجزء الى أن ظهرت نتيجة الصلح بنقض الخصم له يوم عقده وبقيت نتيجة مايضمره شيخ الازهر من خبيء في المسألة فهي خبأة طلعة وقد شرعت في الرد على مجلتها ، فلينتظر قراء المنار الجزء الآتي

ولي أن أقول الآن ان هذا الطعان الشيخ يوسف الدجوي الجدير بلقب صديقه وإمامه المرحوم الشيخ يوسف النبهاني ، ولكن النبهاني كان يفوقه في الادب ، وهذا يفوقه في السباب والمراء والجدل، فهو من الذين قال فيهم الاستاذ الامام انهم يتعلمون كتباً لا علماً ، وانه لم يبق عندهم «إلا تحاور في الالفاظ أو تناظر في الاساليب في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور» وهو لم يحذق شيئا من تلك الكتب التي حذقها كثيرون منهم ولكنه حذق شيئاً آخر ما أسف اليه أحد منهم فيما نعلم وهو ما يجد الناس نموذجه في مقالاته الدالة على انه ليس له أدنى حظ من العلوم التي يجادلنا في مسائلها وهي التوحيد والتفسير والحديث والبدع والسنن ، وكأني بقارئ بهائته يتلو قول الله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)